كِتَابُ التَّوْحِيدِ

الَّذِي هُوَ حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعَبِيدِ

تصنيف

شَيْخُ الإِسْلَامِ الإِمَامُ الدَّاعِيَة

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ

١١١٥ - ١٢٠٦هـ

وبحاشيته

قُرَّةُ عُيُونِ المُوَحِّدِينَ

فِي تَحْقِيقِ دَعْوَةِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ

لِحَفِيدِهِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ الشَّيْخِ حَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّد

منشورات دار مكتبة الحياة

بيروت - لبنان

كِتَابُ التَّوحِيد

الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ عَلَى العَبِيد

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

كتاب التوحيد (٢)

وقولِ الله تعالى :﴿وما خلقت الجن والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدون﴾(٣)،وقوله : ﴿ولقدْ بَعَثْنا في كلِّ أُمَّةٍ رسولاً أنِ اعبُدوا الله واجتَنِبوا الطاغوت﴾(٤)الآية

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) قوله في كتاب التوحيد (بسم الله الرحمن الرحيم﴾ : الكلام على البسملة بين مذكور في الشرح، والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء، اتباعاً للسنة في مراسلات النبي ﷺ للملوك وغيرهم، وفي الامر بالبداءة بها حديث معروف.

(٢) قوله (كتاب التوحيد) المراد بالتوحيد توحيد العبادة. وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد أن ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ كما في سورة الأعراف وهود وغيرهما. [الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥- هود: ٥٠، ٦١، ٨٤- المؤمنون: ٢٣، ٣٢]

(٣) قوله: وقول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] دلت الآية على أن الله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي القيام بما يجب عليهم من عبادته وحده بترك عبادة ما سواه، ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة. قال شيخ الاسلام: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة. وقال ايضاً: والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلى عن ذل والذل الخلى عن حب لا يكون عبادة، وانما العبادة ما يجمع كمال الامرين. وقال ايضا: وأما ما خلقوا له من محبة الله تعالى ورضاه فهو ارادته الدينية فذلك مذكور في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾

(٤) قوله: وقول الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ يخبر تعالى انه بعث في كل قرن وطائفة من الامم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم =

= عن عبادة ما زينه الشيطان لهم وأوقعهم فيه من عبادة ما سواه، فمنهم من هدى الله ووحد الله تعالى بالعبادة وأطاع رسله، ومنهم من حقت عليه الضلالة فأشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون﴾ [الانبياء: ٢٥]. وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا اليه هو توحيد. الإلهية، توحيد القصد والطلب. وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال فهو توحيد العلم والاعتقاد، وأكثر الامم قد اقروا به لله. وأما توحيد الإلهية فاكثرهم قد جحدوه كما قال تعالى عن قوم هود لما قال لهم ﴿أن اعبدوا الله مالكم من اله غيره... قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده﴾ [الأعراف: ٦٥، ٧٠]. وقال مشركو قريش ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾ [صٓ: ٥]. وهذه الآية وهي قوله ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ تبين معنى الآية قبلها وكذلك الآيات بعدها، وأن المراد بالعبادة التي خلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائنا ما كان، فلا تصح الأعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله. والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه، فمنهم من فعل، ومنهم من اشرك وكفر. كما قال تعالى في هذه الآية ﴿فمنهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله﴾ [النساء: ٦٤]. يبين أن حكمة الرب في خلقه للجن والانس لا تقتضي أن كلا يفعل ما خلق له وأرسلت الرسل لأجله، ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده ولم يقبل ما جاءت به رسله، وشرع قتالهم لنبيه ﷺ وأتباعه، فمنهم من أطاع وهم الأقلون، ومنهم من عصى وهم الاكثرون. وهذا التوحيد هو دين الاسلام الذي لا يقبل الله من احد دينا سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام ﴿إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ [يوسف: ٤٠]. وهذا هو الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه، وأمر الرسل أن يقيموه، كما قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: ١٣]. وقال لنبيه محمد ﷺ فيه ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به، اليه ادعو واليه مآب﴾ [الرعد: ٣٦].

فأمره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمة إلى ذلك، والقرآن كله في هذا التوحيد وبيانه وجزائه والرد على من جحده كما قال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم﴾ [المائدة: ١٦]. وفي حديث معاذ الذي رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال: قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، فقال سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم =

[النحل: ٣٦]. ﴿وقضى رَبُّكَ أَلَّا تَعبُدوا إلا إياهُ وَبالوالدَيْنِ إِحْساناً﴾ الآية [الإسراء: ٢٣]. وقوله: ﴿واعبُدوا الله ولا تُشْرِكوا به شيئاً﴾ الآية [النساء: ٣٦][1]. وقوله: ﴿قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حرَّمَ رَبُّكم عليكم أَلَّا

= رمضان ـ وذكر الحج ثم قال ـ «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» فدل على أن الإسلام هو التوحيد، والفرائض من حقوقه. وقد أجمع الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال **وهو** مقتضى الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله. فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي الشرك والبراءة منه وممن فعله، وإخلاص العبادة لله وحده، والإيمان بالرسول وطاعته. وهو معنى الآية الثالثة وهي قوله تعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي أمر ووصى. فقوله ﴿أن لا تعبدوا﴾ فيه معنى «لا إله» وقوله: ﴿إلا إياه﴾ فيه معنى «إلا الله». وهذا هو معنى كلمة الإخلاص كما قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾ [آل عمران: ٦٤]. فقوله ﴿أن لا نعبد﴾ فيه معنى «لا إله» وقوله ﴿إلا الله﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص. فسبحان الله كيف خفي هذا مع بيانه ووضوحه على الأذكياء من متأخري هذه الأمة!

(١) قال: وقول الله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ هذه الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضاً. فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة. فدلت هذه الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلا. كما قال تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ [الأنعام: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ [الزمر: ٦٥] فتقديم المعمول يفيد الحصر، أي بل الله فاعبد وحده لا غيره كما في فاتحة الكتاب ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ [الفاتحة: ٥]. وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾ [الزمر: ١١]. والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وتقدم أن أصله وأساسه توحيد العبادة. فلا تغفل عما تقدم.

تُشرِكوا به شيئا﴾ [الأنعام: ١٥١] الآيات[١].

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظرَ إلى وصيةِ محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ ما حرَّم ربُّكم

---

(١) قوله: ﴿قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا﴾ أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله: ﴿أن لا تشركوا به شيئاً﴾ فالشرك أعظم ذنب عصى الله به أكبره وأصغره. وقد وقع الأكثر من متأخرى هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو اعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والاحجار والطواغيت والجن، كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الاصنام والأوثان، واتخذوا هذا الشرك دينا، ونفروا إذا دعوا الى التوحيد اشد نفرة، واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون﴾ وقال تعالى ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا﴾ وقال ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون. ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ علموا أن «لا اله إلا الله» تنفي الشرك الذي وقعوا فيه، وأنكروا التوحيد الذي دلت عليه، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة «لا اله إلا الله» من أكثر متأخري هذه الامة، لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه، وجهلوا توحيد الاسماء والصفات وأنكروه، فوقعوا في نفيه أيضاً وصنفوا فيه الكتب، لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل، وقد اشتدت غربة الاسلام حتى عاد المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، فنشأ على هذا الصغير، وهرم عليه الكبير، وقد قال النبي ﷺ «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» وقد قال ﷺ «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» وهذا الحديث قد صح من طرق كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ، وهو في السنن وغيرها، ورواه محمد بن نصر في كتاب الاعتصام، وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ بعد القرون الثلاثة.

فلهذا عم الجهل بالتوحيد الذي هو اصل دين الاسلام، فان أصله أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد إلا بما شرع، وقد ترك هذا وصارت عبادة الاكثرين مشوبة بالشرك والبدع لكن الله تعالى - وله الحمد - لم يخل الأرض من قائم له بحججه، وداع اليه على بصيرة، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فله الحمد والشكر على ذلك.

عليكم - إلى قوله: وأَنَّ هذا صِراطي مُستقيما﴾ الآية [١] وعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنتُ رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حقُّ العباد على الله»؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال «حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً». قلت: يا رسول الله أفلا ابشِّر الناس؟ قال: «لا تبشرهُم فيتَّكلوا». أخرجاه في الصحيحين [٢].

---

(١) وأما قول عبد الله بن مسعود: من اراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمة فليقرأ ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم - الى قوله - وأن هذا صراطي مستقيما﴾ الآية، قوله: «التي عليها خاتمه» شبه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت أي فلم تغير ولم تبدل، أراد أن النبي ﷺ لم يزل يدعو الأمة من حين بعثه الله تعالى الى أن توفاه الله صلوات الله وسلامه عليه الى ما تضمنته هذه الآيات المحكمات أمراً ونهياً، كما قال تعالى عن خليله عليه السلام ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى به إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ الآيات [سورة البقرة: ١٣١ - ١٣٢].

(٢) قوله: وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله»؟ فساقه المصنف رحمه الله تعالى هنا لتصمنه معنى الآيات التي تقدمت، وذلك قوله: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

حق الإله عبادة بالأمر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير اشراك به شيئا هما ... سبب النجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرك بإلهه ... أو ذو ابتداع أو له الوصفان

«وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا» ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أحق ذلك على نفسه تفضلا وإحسانا على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في اراداتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه ولم يتقربوا بما يقولونه ويعملونه من الطاعات إلا إليه وحده. والله أعلم.

فيه مسائل: (الاولى) الحكمة في خلق الجن والانس. (الثانية) أن العبادة هي التوحيد لان الخصومة فيه (الثالثة) أن من لم يات به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾. [الكافرون: ٣] (الرابعة) الحكمة في ارسال الرسل. (الخامسة) أن الرسالة عمت كل أمة. (السادسة) أن دين الأنبياء واحد. (السابعة) المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى قوله: ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله﴾ الآية [سورة البقرة: ٢٥٦]. (الثامنة) أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله. (التاسعة) عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الانعام عند السلف. وفيها عشر مسائل اولها النهي عن الشرك. (العاشرة) الآيات المحكمات في سورة الاسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها الله بقوله: ﴿لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموماً مخذولا﴾ وختمها بقوله: ﴿لا تجعل مع الله الهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحورا﴾ [الاسراء: ٢٢ - ٣٩]. ونبهنا الله سبحانه فيها على عظم شأن هذه المسألة بقوله: ﴿ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة﴾ (الحادي عشرة) آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿واعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئا﴾[النساء: ٣٦]. (الثانية عشرة) التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته. (الثالثة عشرة) معرفة حق الله تعالى علينا. (الرابعة عشرة) معرفة حق العباد عليه اذا أدوا حقه. (الخامسة) أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة. (السادسة

عشرة) جواز كتمان العلم للمصلحة. (السابعة عشرة) استحباب بشارة المسلم بما يسره. (الثامنة عشرة) الخوف من الإتكال على سعة رحمة الله (التاسعة عشرة) قول المسئول عما لا يعلم: الله ورسوله اعلم. (العشرون) جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض. (الحادية والعشرون) تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه. (الثانية والعشرون) جواز الإرداف على الدابة (الثالثة والعشرون) فضيلة معاذ بن جبل. (الرابعة والعشرون) عظم شأن هذه المسألة.



٢ ـ باب

فضلِ التوحيد وما يكفر من الذُّنوب(١)

وقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يَلبِسُوا ايمانهم بظلم﴾ [الأنعام: ٨٢]: الآية (٢) عن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله

---

(١) قوله «باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب». الباب: هو المدخل إلى الشيء. قوله «وما يكفر من الذنوب»: (ما) مصدرية أي وتكفيره الذنوب. ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف، أي والذي يكفره من الذنوب. والمراد بالتوحيد توحيد العبادة، وهو افراد الله تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة كالدعاء والذبح والنذر ونحوه كما قال تعالى: ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ [غافر: ١٤]. وقال تعالى ﴿فادعوه مخلصين له الدين﴾ [غافر: ٦٥].

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. واللبس الخلط، والمراد بالظلم هنا الشرك الأكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعاً «إنما هو الشرك، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣]» أراد أن من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية. وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والايمان، فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها. وأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من الأمن والاهتداء بحسب توحيده، وفاته منه بقدر معصيته، كما قال ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ [فاطر: ٣٢]. فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملا صالحاً وآخر سيئاً، فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجاه بتوحيده من الخلود في النار، وأما المقتصد فهوالذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرم عليه فقط، وهذه حال الأبرار وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الايمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علماً وعملاً. فهذان لهما الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، فالكل للكل والحصة للحصة، لأن كمال الايمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها فلم يلق ربه بذنب يعاقب به كما قال تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ [النساء: ١٤٧]. وهذا الذي ذكرته في معنى هذه الآية هو ما قرره =

=شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم رحمه الله في معناها، وهو الذي دل عليه القرآن، وهو قول اهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم.

(١) قوله: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من شهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل». قوله: «من شهد» لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذباً لجهله بمعنى الذي شهد به. وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً، فنفت الالهية عن كل ما سوى الله بقولك «لا إله» وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك «إلا الله» قال تعالى: ﴿شهد الله انه لا اله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٨]. فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون فقلبوا حقيقة المعنى **فأثبتوا** الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت **والأشجار** والأحجار والجن وغير ذلك، واتخذوا ذلك ديناً وشبهوا وزخرفوا واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم اليه، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش ونحوهم، فانهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالى: ﴿انهم كانوا إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون. ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ [الصافات: ٣٦]. والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما انكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها. فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه، وهؤلاء جهلوا هذا المعنى وأنكروه، فلهذا تجده يقول «لا إله الا الا الله» وهو يدعو مع الله غيره. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الإله هو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالا وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلا. وقال الوزير أبو المظفر رحمه الله تعالى في الافصاح: قوله «شهادة ان لا اله إلا الله» يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا اله إلا الله كما قال تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد: ١٩]. قال: وإسم الله مرتفع بعد إلا من حيث انه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه. قال وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فانك لما نفيت الإلهية وأثبتَّ الايجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله. وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: الآله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالا ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلا عليه وسؤ الا منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» وكان فيه من عبودية =

ورسوله [1]، وأَن عيسىٰ عبدُ الله ورسوله وكلمته أَلقاها إلى مريم وروح

= المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وقال البقاعي: «لا اله إلا الله» أي انتفى نفياً عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم. قال: وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علما إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الاذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف.

قلت: وهؤلاء المتأخرون جهلوا معنى «الإله» وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد الربوبية وهو القدرة على الاختراع فأثبتوا ما نفته «لا اله إلا الله» من الشرك وانكروا ما أثبتته من إخلاص العبادة لله جهلا منهم، وقد قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ [الزمر: ٢]. قال محي الدين النووي: اعلم ان باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع من ازمان متطاولة، ولم يبق في هذه الازمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصالحَ والطالحَ. قوله: «في هذه الأزمان» يعني القرن الخامس والسادس وإذا كان كذلك فما الظن بالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغربة، ولشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في تفسير هذه الكلمة كلام بديع واضح لم يسبق إلى مثله فليراجع لمسيس الحاجة اليه.

(١) قوله في الحديث «وحده لا شريك له» تأكيد لمعنى «لا إله إلا الله» الذي دلت عليه ووضعت له من باب اللف والنشر المقدم والمؤخر، وهو بيان لمعنى هذه الكلمة، لأنها دلت بجملتها على التوحيد. فلا إله تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره وبينه بقوله «لا شريك له» في إلهينه وهي العبادة. وقوله «وحده» هو معنى «إلا الله» فهو الإله الحق وحده دون كل ما سواه من أهل السموات والارض كما دلت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتر الأحاديث، فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير الله والله تعالى يقول لنبيه ﴿فلا تدعُ مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين﴾ [الشعراء: ٢١٣]. وغيرها من الآيات الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى، فقوله «وحده» تأكيد للاثبات وقوله «لا شريك له» تأكيد للنفي.

وقوله: «وان محمداً عبده ورسوله» أي وشهد أن محمداً عبده ورسوله أي بصدق ويقين، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سنته ﷺ وأن لا تعارض بقول احد، لأن غيره ﷺ يجوز عليه الخطأ، والنبي ﷺ قد عصمه الله تعالى، وأمرنا بطاعته والتأسي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من امرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦]. الآيةَ وقال ﴿فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ [النور: ٦٣]. قال الامام أحمد رحمه الله تعالى: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة =

منه (١) ، وأَن الجنةَ حق والنار حقٌ، أَدخله الله الجنة على ما كان من

=الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك وقد وقع التفريط في المتابعة وتركها، وتقديم اقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله ﷺ لا سيما من العلماء كما لا يخفى.

(١) قوله: «وأن عيسى عبد الله ورسوله» فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات وما فيها من الرد على كفار النصارى، وهم ثلاث طوائف: طائفة قالوا إن عيسى هو الله، وطائفة قالوا ابن الله، وطائفة قالوا ثالث ثلاثة يعنون عيسى وأمه. فبين تعالى في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه. فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة. انتهوا خيراً لكم، إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾[النساء: ١٧١]. والآيات بعدها، وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ [المائدة: ٧٢]. في مواضع من سورة المائدة، وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد فقال تعالى: ﴿فأتت به قومها تحمله. قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا. يا أخت هارون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت أمك بغيا. فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً. قال اني عبد الله، آتاني الكتاب وجعلني نبيا. وجعلني مباركاً اين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا. وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا، والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم أبعث حيا. ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون. ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون وإنّ الله ربي وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ [مريم: ٢٧ - ٣٦]. فبين تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا، ومن خرج عنه هلك. قال تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ [آل عمران: ٥٩]. فبين تعالى الصراط المستقيم بياناً شافياً ووافياً وأقام حججه على توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولوكره المشركون.

قوله «وكلمته القاها إلى مريم وروح منه» أي قوله «كن» فخلقه بكن فكان. ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافاً للجهمية أيضا.

قوله «وروح منه» أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على انه تعالى ربهم وإلههم. كما قال تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى شهدنا﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات وروح عيسى من تلك الارواح التي خلقها الله تعالى. وذكر ابن جرير عن وهب بن منبه قال: نفخ =

العمل [1] » أخرجاه. ولهما في حديث عِتْبان «فانَّ اللَه حرَّم على النار من

= جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت. وعن السدي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت. وقال ابن جريج يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكمها. انتهى. مختصراً. فجبريل نفخ والله خلق بقول «كن» فكان كما قال تعالى: «فاذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ [الحجر: ٢٩]. فسبحان من لا يخلُقُ غيرُه ولا يُعبَد سواه. وقد اورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول الله تعالى ﴿وروح منه﴾، فقال في الجواب: هذا ليس خاصاً بعيسى عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها كما قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه﴾ [الجاثية: ١٣]. أي خلقاً وايجاداً، وعيسى كذلك خلقه واوجده كسائر مخلوقاته. وفي الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء انبيائه ورسله، فانهم كانو هم والنصارى في طرفي نقيض فنسبوه إلى أنه ولدُ بغيٍّ قاتلهم الله، فأكذبهم الله تعالى في كتابه وابطل قولهم كما ابطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها، فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء، وكلاهما قد ضل ضلالا بعيداً. نبه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبين تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عليه السلام وجعله من أولى العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبروا فقال ﴿واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فهم افضل الرسل على التحقيق والنبي ﷺ أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(١) قوله «وأن الجنة حق» أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة وما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما قال تعالى: ﴿عطاءً غيرَ مجذوذ﴾ [هود: ١٠٨]. وقال ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [السجدة: ١٧]. «والنار حق» اعدها الله تعالى لمن كفر به وأشرك في إلهيته وربوبيته وألحد في أسمائه وصفاته. ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل، فان الله تعالى بين الجنة وما اعد فيها من النعيم المقيم، وذكر انها دار المتقين، وذكر النار وما فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك.

قوله: «أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» جواب من الشرطية، أي من شهد أن لا اله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة أي بإخلاصه وصدقه والايمان برسوله وما أرسل به وخالف النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى وعلم يقينا أنه عبد الله ورسوله وآمن بالجنة والنار، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وإن كان مقصراً وله ذنوب، فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات. فتدبر هذا الحديث فانه عظيم. والله أعلم.

قال لا الهَ إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله» (١) وعن أَبي سعيد الخُدْريّ

(١) قوله: ولهما في حديث عتبان «فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله». قوله «ولهما» أي البخاري ومسلم. وهذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله: «من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله»، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلت عليه هذه الكلمة من الاخلاص ونفي الشرك، والصدق والاخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، فان من لم يكن مخلصاً فهو مشرك، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى، وهذا التوحيد هو اساس الاسلام الذي قال فيه الخليل عليه السلام ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة: ١٢٨]. وقالت بلقيس ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل: ٤٤]. وقال الخليل عليه السلام ﴿اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ [الانعام: ٧٩]. والحنيف هو الذي ترك الشرك رأساً. وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده كما قال تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [لقمان: ٢٢]. فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق، وهو معنى الآية ونحوها إجماعاً. فهذا هو الذي ينفعه قوله: «لا اله إلا الله» ولهذا قال تعالى: ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾. وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه اكثر الخلق، فهؤلاء وإن قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفياً وإثباتاً. والجاهل بمعناها وإن قالها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له، فاذا انتفى اليقين وقع الشك. ومما قيدت به في الحديث قوله ﷺ «غير شاك» فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقاً من قلبه خالصاً من قلبه، وكذلك من قالها غير صادق في قوله فانها لا تنفعه لمخالفة القلب واللسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فانها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والاخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة ومن لم يكن كذلك لم ينفعه قوله: «لا اله إلا الله» كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون لا اله الا الله وينكرون ما دلت عليه من الاخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك وأهله. وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه ﴿انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين. وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾ [الزخرف: ٢٨]. وهي لا اله إلا الله، وقد عبر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره، وكذلك من قالها ولم يقبل ما دلت عليه =

رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسىٰ: يارَبِّ عَلِّمني شيئا أَذكرك وادعوك به، قال: قلْ يا موسىٰ لا إِلَهَ الا الله. قال: يا رب كلُّ عبادك يقولون هذا [(١)]. قال: يا موسىٰ لو أَنَّ السموات السبعَ وعامرهنَّ - غيري - والارَضينَ السبع في كِفَّةٍ ولا إله إلّا الله في كِفَّة مالت بهِّن لا اله

= من الاخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذباً منه، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك، ونفى ما أثبتته من الاخلاص. فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى، فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم.

(١) قوله: عن ابي سعيد أن النبي ﷺ قال: «قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى «لا اله إلا الله» قال: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن - غيري - والأرضين السبع في كفة ولا اله إلا الله في كفة مالت بهن لا اله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم وصححه فلا نافية للجنس نفياً عاماً إلا ما استثنى وخبرها محذوف تقديره لا اله حق إلا الله. قال تعالى: ﴿ذلك بان الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ [الحج: ٦٢]. فإلهيته تعالى هي الحق وكل ما سواه من الآلهة فالهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها. فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى وكلمة التقوى وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السموات والأرض، وشرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد. فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً، وقبولا ومحبة وانقياداً ادخله الله الجنة على ما كان من العمل، وفي الحديث الصحيح «أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير». وفي حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال: اتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب فيقال: ألك عذر أو حسنة، ؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقال: بلى، ان لك عندنا حسنة، وانه لا ظلم عليك. فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: انك لا تُظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» رواه الترمذي وحسنه. =

الا الله» رواه ابن حِبّان والحاكم وصححه (١). وللترمذى وحسنه عن

---

(١) قوله: «لو أن السموات السبع وعامرهن» أي كل من في السموات والأرض، وقوله «غيري» استثنى ممن في السموات نفسه لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى ﴿وهو العلي العظيم﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥]. علو القهر وعلو القدرة وعلو الذات، فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥]، ﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾ [الفرقان: ٥٩]. الآية في سبع مواضع من كتابه كما قال تعالى: ﴿اليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة﴾ [المعارج: ٤]، ﴿اني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥]. وأمثال هذه الآيات، فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في اسمائه وصفاته، ومعنى هذه الكلمة نفى الإلهية عن كل شيء سوى ما استثنى بها وهو الله تعالى، وفيه النص على أن الأرضين سبع كالسموات. لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة، وقد ذكر سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيراً ممن يقولها ولم ينفعهم قولها كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود. فمنهم من يقولها جاهلا بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والاخلاص وغيرها كعدم القبول ممن دعا اليها علماً وعملا، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال اكثر من يقولها قديما وحديثاً. ولكن في اواخر هذه الأمة أكثر. ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى او غير ذلك من الاسباب وهي كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتهم﴾ إلى قوله: ﴿فتربصوا حتى يأتي الله بامره. والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾[التوبة: ٢٤].

وأما أهل الإيمان الخلص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة، واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علماً ويقيناً وصدقاً وإخلاصاً ومحبة وقبولا وانقياداً، وعادوا فيه ووالوا فيه وأحبوا فيه وأبغضوا فيه، وقد ذكرهم تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصهم بالثناء عليهم والعفو عنهم، وأعد لهم جنته وأنجاهم من النار كما قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٧١]. وقال ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾ [التوبة: ١٠٠]. فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم =

أَنَس: سمعْت رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أَتيتني بقُراب الارض خَطايا، ثم لقيتَني لا تشرك بي شيئا، لا تيتك بقُرابها مَغفرة [(١)]»

فيه مسائل: (الاولى) سعة فضل الله. (الثانية) ثواب كثرة التوحيد عند الله. (الثالثة) تكفيره مع ذلك للذنوب. (الرابعة) تفسير الآية التي في سورة الانعام. (الخامسة) تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة. (السادسة) أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله الا الله وتبين لك خطأُ المغرورين (السابعة) التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان. (الثامنة) كون الانبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا اله الا الله. (التاسعة) التنبيه لرجحانها بجميع

= أهل لا إله إلا الله وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة، فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملا وترك ما يكرهه خشية ورجاء واعتبر الناس بأحوالهم واقوالهم واعمالهم ونياتهم وإراداتهم وما هم عليه من التفاوت البعيد، تبين له خطأ المغرورين كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ انه قال: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

(١) قوله: وللترمذي وحسنه عن أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى»: يا ابن آدم، إنك لو اتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة». في هذا الحديث ما يبين معنى «لا إله إلا الله» التي رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات، وان ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره، وذلك يقتضي كمال التوحيد، فلا يسلم من الشرك إلا من حقق توحيده وأتى بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد وغير ذلك مما تقتضيه تلك الكلمة العظيمة، كما قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ [الشعراء: ٨٨].

المخلوقات، مع أَن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه (العاشرة) النص على ان الارضين سبع كالسموات. (الحادية عشرة) أَن لهن عماراً. (الثانية عشرة) اثبات الصفات خلافاً للاشعرية (الثالثة عشرة) أَنك اذا عرفت حديث أَنس عرفت أَن قوله في حديث عتبان «فان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله» أَنه تركُ الشرك ليس قولها باللسان. (الرابعة عشرة) تأَمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه. (الخامسة عشرة) معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله. (السادسة عشرة) معرفة كونه روحاً منه. (السابعة عشرة) معرفة فضل الايمان بالجنة والنار. (الثامنة عشرة) معرفة قوله «على ما كان من العمل». (التاسعة عشرة) معرفة أَن الميزان له كفتان. (العشرون) معرفة ذكر الوجه.



٣ - باب

مَن حقَّق التوحيدَ دخلَ الجنةَ بغير حساب(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ ابراهيم كان أُمَّةً قانِتاً لله حَنِيفا ولم يَكُ من المشْركين﴾ (٢) [النحل: ١٢٠]. وقال: ﴿والذين هُم بربِّهم لا

---

(١) قوله: «باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب» أي ولا عذاب. وتحقيقه تصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب، فمن كان كذلك فقد حقق توحيده، وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف: ٢٤]. وفي قراءة ﴿المخلصين﴾ وهم في صدر هذه الأمة كثيرون، وفي آخرها هم الغرباء وقد قلوا، وهم الأعظمون قدراً عند الله، وقال تعالى عن خليله عليه السلام ﴿قال يا قوم اني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ [االأنعام: ٧٩]. أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السموات والأرض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ﴿حنيفاً﴾ أي في حل كوني حنيفاً أي مائلا عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال ﴿وما أنا من المشركين﴾. ونظائر هذه الآية في القرآن مثيرة كقوله: ﴿ومن احسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلا﴾ وقال تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: يقول تعالى مخبراً عمن اسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه ولهذا قال(وهو محسن) أي في عمله واتباع ما امر به وترك ما عنه زجر، فدلت هذه الآية العظيمة على ان كمال الاخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين﴾ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية. والأمة: هو الإمام الذي يقتدى به، والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿ولم يك من المشركين﴾. وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك =

يُشْرِكون﴾ [(١)] [المؤمنون: ٥٩]. عن حُصَين بن عبد الرحمن [(٢)] قال.

كفار. قلت: وكلا القولين حق فقد كان الخليل عليه السلام كذلك. وقول مجاهد والله اعلم لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى: ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً. إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ [مريم: ٤٢] الآيات، وقوله: ﴿وان من شيعته لابراهيم. إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ [الصافات: ٨٣]. فهذا والله أعلم كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن اذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره، وبذلك جاء الحديث. وقوله ﴿ولم يـك من المشركين﴾ فقـد فـارق المشركين بـالقلب واللسـان والأركـان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسر الأصنام، وصبر على ما أصابه في ذات الله. وهذا هو تحقيق التوحيد، وهو اساس الدين ورأسه كما قال تعالى: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين﴾ [البقرة: ١٣١]. وأنت تجد أكثر من يقول «لا إله إلا الله» ويدعي الاسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم ان ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وابغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت اليه لجهله به وعدم محبته فالله المستعان.

(١) وقوله: وقول الله تعالى: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ إلى قوله: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: أي من إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله، خائفون وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً، والمنافق من جمع إساءة وأمنا. ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ أي يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين﴾ [التحريم: ١٢]. أي أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه، وما شرعه الله ان كان امراً فهو ما يحبه الله ويرضاه، وان كان نهياً فهو ما يكرهه ويأباه وان كان خبراً فهو حق كما قال تعالى: ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أي لا يعبدون معه غيره، بل يوحدونه ويعلمون انه لا اله الا هو الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا نظير له. هـ. قلت: فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة اليه كما قال تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب﴾ [الرعد: ٣٦] وتضمنت هذه الآية كمال التوحيد وتحقيقه. وبالله التوفيق.

= (٢) قوله: «عن حصين بن عبد الرحمن» هو الحارثي من تابعي التابعين عن الشعبي.

كنُت عند سعيد بن جبير [١] فقال: أَيكم رأىٰ الكوكبَ الذي انقض البارحة [٢]؟ فقلت: انا ثم قلتُ: أَما إني لم أَكن في صلاة [٣] ولٰكني لُدِغت. قال: فما صنعتَ؟ قلت: ارتقيت. قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدَّثَناهُ الشَّعْبي [٤]، قال: وما حدَّثكم؟ قلُت: حدثنا عن بُرَيدةَ بن الحُصَيب أَنه قال: لا رُقيةَ إلا من عَينٍ او حُمَة [٥].

---

(١) قال: «كنت عند سعيد بن جبير» هو الوالبي مولاهم الفقيه، عن ابن عباس وخلق. قال اللالكائي: ثقة إمام حجة. قتله الحجاج بن يوسف فما امهله الله بعده.

(٢) قوله: «فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقض البارحة»؟ يعني كوكبا رجم به تلك الليلة، يقال «البارحة» لليلة الماضية إذا زالت الشمس، وأما قبل الزوال فيقال الليلة.

(٣) قوله: «فقلت: أنا» أي أنا رأيته، «ثم قلت: أما اني لم اكن في صلاة» قال ذلك حذراً من الشرك لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة فيكون قد ادعى لنفسه ما لم يفعله، فما اشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقه وجليله، والحذر من أن يحمد بما لم يفعله. فما اعز من سلم من الشرك كما سيأتي.

(٤) قوله: قلت حديث حدثناه الشعبي. قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب انه قال: «لا رقية الا من عين أو حمة». هذا الحديث قد روى مرفوعا. والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الامام، روى عن عمر وعلى وابن مسعود ولم يسمع منهم، وعن ابي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق، قال الشعبي: ما كتبت سوداء في بيضاء. توفي سنة ثلاث ومائة. وبريدة هو ابن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، أسلم قبل بدر، وعمل على اليمن في أيام النبي ﷺ، صحابي مشهور.

(٥) قوله: «لا رقية الا من عين أو حمة» هذا والله اعلم في اول الامر ثم رخص في الرقى إذا كانت بحق والله أعلم. قوله: «ولكن حدثنا ابن عباس» هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وصار آية في العلم والفهم وكثرة ما روى من الأحاديث، على أنه من صغار الصحابة لكن طلب الحديث من كبار الصحابة فحفظ الأكثر مما كان عندهم، رضي الله عنهم أجمعين.

قال: قد أَحسنَ مَنِ انتهىٰ إلى ما سمع [١] ولكنْ حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «عُرِضت عليَّ الامم» [٢]، فرأَيْت النبيَّ ومعه الرهط والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ وليس معه أَحد [٣]، إذ رُفع لي سَوادٌ عظيم، فظننت أَنهم أُمَّتي، فقيل لي: هذا موسىٰ وقومُه [٤]

(١) قوله: «قد احسن من انتهى إلى ما سمع» فيه حسن الأدب مع العلم وأهله. وأن من فعل شيئاً سئل عن مستنده في فعله هل كان مقتدياً ام لا؟ ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله، ولهذا ذكر ابن عبد البر الاجماع على أن المقلد ليس من أهل العلم فتفطن لهذا.

(٢) قوله: أن النبي ﷺ قال: «عرضت على الأمم». قلت: فالله اعلم متى عرضت. وعرضها ان الله تبارك وتعالى أراه مثالها اذا جاءت الأنبياء ومن تبعهم. فمن نجا بالإيمان بالله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم، وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، والاخذ بما امرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن قوم نوح ﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين. أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ [نوح: ٣] فعبادته توحيده وطاعته بامتثال ما امرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله. هذا هو الدين: أن لا يعبد الا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع فعلا وتركا، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه.

(٣) قوله: «فرأيت النبي ومعه الرهط» الرهط العشرة فما دون. «والنبي ومعه الرجل والرجلان» أي أتباعه، «والنبي وليس معه احد» أي يبعث في قومه فلا يتبعه منهم أحد كما قال تعالى: ﴿ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين. وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ [الحجر: ١٠] وفيه دليل على ان الناجي من الأمم هم القليل، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا كما قال تعالى: ﴿وإن تطع اكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ [الأنعام: ١١٦] وقال: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ [الأعراف: ١٠٢] وقال: ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين﴾[الروم: ٢٢] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الاعظم فانهم الاعظمون قدراً عند الله وان قلوا. فليحذر المسلم ان يغتر بالكثرة، وقد اغتربهم كثيرون حتى بعض من يدعى العلم، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ولم يلتفتوا الى ما قاله الله ورسوله.

(٤) قوله: «إذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم أمتي، فقيل لي: موسى وقومه» فيه فضيلة أتباع موسى من بني اسرائيل ممن آمن منهم بالرسل، والكتب التي انزلها الله، التوراة والإنجيل =

فنظرتُ فاذا سَواد عظيم، فقيل لي: هذه أُمَّتُك ومعهم سبعون أُلفاً يَدخلونَ الجنةَ بغير حِساب ولا عذاب [١]». ثم نهض فدخل منزلَه، فخاض الناس في أُولئك [٢]، فقال بعضهم: فلعلهُم الذين صحبوا رسولَ الله ﷺ، وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلدوا في الاسلام فلم يُشركوا بالله شيئاً، وذكروا أَشياءَ. فخرج عليهم رسولُ الله ﷺ فأَخبروه، فقال «هُم الذين لا يَسْتَرْقون ولا يَكْتَوُون ولا يَتطيَّرون، وعلى ربّهم

= والزبور والفرقان وغيرها، وكانت بنو اسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود، وهذا الحديث يدل على ان التابع لموسى عليه السلام كثيرون جداً، وقد قال تعالى: ﴿وفضلناهم على العالمين﴾[الجاثية: ١٦] أي في زمانهم، وذلك ان في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلقاً لا يحصون كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم، ففضل الله بني اسرائيل بالايمان فصاروا أفضل أهل زمانهم، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم، واختلافهم في دينهم، وقد ذكره الله تعالى محتجاً به على اليهود الذين كفروا بمحمد ﷺ، فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف.

(١) قوله: «ثم نظرت فإذا سواد عظيم» وفي رواية«قد سد الأفق، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» فيه فضيلة هذه الأمةوأنهم اكثر الأمم تابعاً لنبيهم ﷺ وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فملأوا القرى والأمصار والقفار، وكثر فيهم العلم واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة، فما زالت هذه الأمة على السنة في القرون الثلاثة المفضلة، وقد قلوا في آخر الزمان. قال شيخنا رحمه الله تعالى في مسائله: وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. فالكمية الكثرة والعدد، والكيفية فضيلتهم في صفاتهم كما في هذا الحديث بقوله: «ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب».

(٢) قوله: «ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك» أي الحاضرون في ذكر هذا الحديث. وفيه ايضاً فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم، وحرصهم على فهم ما حدثهم به نبيهم ﷺ حرصا على العمل به، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل، لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم، ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم، لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه، بل يقال لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث.

يَتَوَكَّلُون [١]». فقام عُكاشةُ بن مِحْصَن فقال: ادعُ الله أَن يجعلني منهم[٢]. قال «أَنت منهم». ثم قام رجل آخر فقال ادُع الله أَن يجعلني منهم، فقال: «سبقكَ بها عُكاشة [٣]»

---

(١) فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال«هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» أي لا يطلبون الرقية من أحد ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى منه بالكى، ولا يتطيرون. والطيرة شرك فتركوا الشرك رأساً ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فمافوقها وتركوا الكي وان كان يراد للشفاء والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه، وان لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبّره وقضاه، فلا يرغبون إلا ربهم ولا يرهبون إلا منه. ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون إلا اليه وحده في كشف ضرهم. قال تعالى عن يعقوب عليه السلام﴿ إنما أشكو بثى وحزني الى الله﴾[يوسف: ٨٦].

(٢) قوله: «فقام عكاشة بن محصن» صحابي مشهور شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، وهو من بني اسد بن خزيمة، قتله طليحة بن خويلد شهيداً، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة فقاتل بني أسد لردتهم عن الاسلام، وكان فيهم طليحة وقد ادعى النبوة وصدقوه فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافراً، ثم بعد ذلك هداه الله إلى الاسلام وجاهد الفرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الحيرة المشهورة. قوله: «فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم» فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة، فمن سأل ميتا أو غائبا فقد سأل ما لا يقدر عليه إلا الله، فقد جعله نداً لله كما كان المشركون كذلك وقال تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [البقرة: ٢٢] أنه ربكم وخالقكم ومن قبلكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، فلا ترغبوا عنه إلى غيره، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير. قوله: «أنت منهم» لما يعلمه ﷺ من إيمانه وفضله وجهاده كما في الحديث «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

(٣) قوله: «ثم قام رجل آخر فقال: أدع الله ان يجعلني منهم، فقال: سبقك بها عكاشة». والظاهر انه أراد صلوات الله وسلامه عليه سد الذريعة، لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلا له. وذلك منه ﷺ تعريض كما لا يخفى.

فيه مسائل: (الأولى) معرفة مراتب الناس في التوحيد. (الثانية) ما معنى تحقيقه (الثالثة) ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين. (الرابعة) ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. (الخامسة) كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. (السادسة) كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل. (السابعة) عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. (الثامنة) حرصهم على الخير. (التاسعة) فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية. (العاشرة) فضيلة أصحاب موسى. (الحادية عشرة) عرض الأمم عليه السلام. (الثانية عشرة) أنَّ كلَّ أُمَّةٍ تُحْشَرُ وحْدَها مع نبيِّها. (الثالثة عشرة) قلَّةُ من استجاب للأنْبياءِ (الرابعة عشرة) أن من لم يجبه أحد يأتي وحده. (الخامسة عشرة) ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد في القلة. (السادسة عشرة) الرخصة في الرقية من العين والحمة. (السابعة عشرة) عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا. فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني. (الثامنة عشرة) بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه. (التاسعة عشرة) قوله: «أنت منهم» علم من أعلام النبوة. (العشرون) فضيلة عكاشة. (الحادية والعشرون) استعمال المعاريض. (الثانية والعشرون) حسن خلقه ﷺ.

٤ ـ باب

الخوف من الشرك

وقولِ الله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أَنْ يُشرَكَ به ويغفرُ ما دونَ ذلك لمن يشاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال الخليلُ عليه السلام: ﴿واجْنُبْنى وبَنِيَّ أنْ نعبدُ الأصنام﴾ [إبراهيم: ٣٥] (٢). وفي الحديث «أَخوفُ ما أخافُ

---

(١) قوله: «باب الخوف من الشرك». وقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾. قال النووي رحمه الله تعالى: أما دخول المشرك النار فهو على عمومه، فيدخلها ويخلد فيها، ولا فرق بين الكتابي اليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره، ولا بين من خالف ملة الاسلام وبين من انتسب اليها ثم حكم بكفره بجحده وغير ذلك. وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به، لكن أن لم يكن صاحب كبيرة مصراً عليها ومات على ذلك فهو تحت المشيئة فان عفى عنه دخل الجنة أولاً وإلا عذب في النار ثم أخرج منها وأدخل الجنة. اهـ. قلت: هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك، وهذه الآية من اعظم ما يوجب الخوف من الشرك، لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد، ثم قال: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ فخصص وقيد فيما دون الشرك، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة، ان لم يتب منه قبل الوفاة.

(٢) قوله: «وقال الخليل عليه السلام ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ أي ابراهيم عليه السلام خليل الرحمن، والخلة أخص من المحبة، ولهذا اختص بها الخليلان ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ وهذا ايضاً يخيف العبد، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال: ﴿وابراهيم الذي وفى﴾ [النجم: ٣٧]. وامر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته. وما أحسن ما قال ابراهيم التيمي: ومن يأمن البلاء بعد ابراهيم؟ فهذا أمر لا يؤمَن من الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فاتخذت الأوثان وعبدت، فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون=

عليكم الشرك الأصغر» فسُئل عنه فقال «الرياءُ» [1] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن مات وهو يدعو لِله ندّاً دخلَ

المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك دينا، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الربوبية مما يطول عده، فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ [ابراهيم: ٣٥]. وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه. وقد هلك من هلك باعراضه عن القرآن وجهله بما أمر الله به ونهى عنه، نسأل الله الثبات على الاسلام والاستقامة على ذلك الى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولى ذلك والقادر عليه «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وقال تعالى: (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾ [المائدة: ١١٨]. رد أمرهم إلى الله كما رد عليه السلام، وقد بين الله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد ﷺ حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفره لهم فلا معارضة، وقد بين حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز ﴿الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [فصلت: ٤٢].

(١) وقوله في الحديث لأصحابه ﷺ «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسئل عنه فقال «الرياء». وهذا الحديث رواه الامام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد، فاذا كان يخافه ﷺ على أصحابه الذين وحدوا الله بالعبادة ورغبوا اليه وإلى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما دعاهم اليه نبيهم، وما انزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك، فكيف لا يخاف من لا نسبة له اليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك، وقد أخبر ﷺ عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره «حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» وقد جرى ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوه دينا مع ظهور الآيات المحكمات والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة: ٧٢]. وقال ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به﴾ وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله. ثم قال تعالى محذراً عباده من الشرك ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١]. ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه.

النار» رواه البخاري [1] ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن لقى اللَّه لا يشركُ به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيَه يُشرك به شيئاً دخلَ النار» [2].

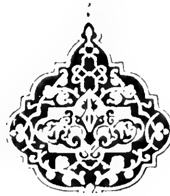
فيه مسائل. (الأولى) الخوف من الشرك. (الثانية) أن الرياءَ من الشرك. (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر. (الرابعة) أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين. (الخامسة) قرب الجنة والنار. (السادسة) الجمع بين قربهما في حديث واحد. (السابعة) أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

---

(١) قوله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار» رواه البخارى. وهذا الحديث فيه التحذير من الشرك ايضا والتخويف منه والند المثل والشبيه، فمن دعا ميتا أو غائبا وأقبل اليه بوجهه وقلبه رغبة اليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، ولهذا حرم الله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الانكار، لكونه ينافي الإخلاص الذي هو اقبال القلب والوجه على الله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به، ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن الله تعالى وذلك ينافي الاخلاص، ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

(٢) قوله: ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار». قوله «من لقي الله لا يشرك به شيئا» هذا هو الاخلاص كما تقدم. وقوله: «ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار» هذا هو الشرك فمن لقي الله بالشرك دخل النار قل أو كثر. اما الشرك الأكبر فلا عمل معه، ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى الآيات، وأما الأصغر كيسير الرياء، وقول الرجل ما شاء الله وشئت، وقوله مالي إلا الله وأنت ونحو ذلك فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات. قال بعض العلماء: اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات الرسالة باللزوم، اذ من كذب رسل الله فقد كذب الله، ومن كذب الله فهو مشرك. فالمراد من مات حال كونه مؤمنا بجميع ما يجب الإيمان به اجمالا في الاجمالي، وتفصيلا في التفصيلي اهـ.

(الثامنة) المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام، (التاسعة) اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنهنَّ أضللن كثيراً من الناس﴾ [إبراهيم: ٣٥]. (العاشرة) فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري. (الحادية عشرة) فضيلة من سلم من الشرك.



٥ ـ باب

الدعاء إلى شهادة أَن لا إِله إِلا الله

وقــول الله تعــالى ﴿قُــلْ هــذه سَبيلي أدعُــو إلى الله علىٰ بَصِيرة﴾ [يوسف: ١٠٨]. [(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث مُعاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأْتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه شهادةُ أنْ لا إلَهَ إلا الله[(٢)].

---

(١) قوله: باب الدعاء إلى شهادة ان لا اله إلا الله، وقول الله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ قال أبو جعفر بن جرير: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ (قل) يا محمد (هذه) الدعوة التي ادعو اليها والطريقة التي انا عليها من الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والاوثان والانتهاء الى طاعته وترك معصيته (سبيلي) وطريقتي ودعوتي ﴿أدعو الى الله﴾ وحده لا شريك له ﴿على بصيرة﴾ بذلك وبيقين علم مني به ﴿أنا، و﴾ يدعو إليه على بصيرة ايضا ﴿من اتبعني﴾ وصدقني وآمن بي ﴿وسبحان الله﴾ يقول تعالى ذكره: وقل تنزيها لله وتعظيما له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿وما أنا من المشركين﴾ يقول وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني. اهـ. وهذه الآية تدل على ان أتباعه هم أهل البصائر الداعون الى الله تعالى، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة، وان كان من اتباعه على الانتساب والدعوى، قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد قال تعالى: ﴿قل اني أمرت ان اعبد الله ولا أشرك به، إليه أدعو واليه مآب﴾ [الرعد: ٣٦]. وما زال النبي ﷺ واصحابه يدعون إلى ما امر الله به من الدعوة الى توحيده في العبادة، والنهي عن الشرك به، ويجاهدون على ذلك. والآيات في الامر بذلك كثيرة جداً.

(٢) قوله: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له «انك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم اليه شهادة أن لا اله الا الله» الحديث. وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث من كان باليمن من اليهود والنصارى اذ ذاك. قوله: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله الا الله» وكانوا يقولونها، لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من اخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه، فكان قولهم لا إله الا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة فانهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الاموات والغائبين والطواغيت والمشاهد، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك =

= باعتقادهم وقولهم وفعلهم، وينفون ما اثبتته من الاخلاص كذلك، وظنوا ان معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الاشاعرة وغيرهم، وهذا هو توحيد الربوبية الذي اقر به المشركون فلم يدخلهم في الاسلام كما قال تعالى: ﴿قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ـ الى قوله ـ فأنى تسحرون﴾ وقوله﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ـ إلى قوله ومن يدبر الامر، فسيقولون الله، فقل افلا تتقون﴾ [يونس: ٣١]: وأمثال هذه الآيات في القران كثير. وهذا التوحيد قد أقر به مشركوا الامم وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد ﷺ، فلم يدخلهم في الاسلام لانهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه كما قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤]. فهذا التوحيد هو أصل الإسلام، وقال تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٤٠]. وقال: ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ [الروم: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم، وان يشرك به تؤمنوا، فالحكم لله العلي الكبير﴾ [غافر: ١٢]. وقال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣]. وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير، وسنذكر بعض ذلك ان شاء الله تعالى في هذا التعليق. قوله «فليكن أول» منصوب على أنه خبر «يكن» مقدم، و «شهادة» اسمها مؤخر ويجوز العكس، وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب، لأنه اساس الملة وأصل دين الاسلام. وأما قول المتكلمين ومن تبعهم: ان اول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال. فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم الى توحيد العبادة ﴿أن اعبدوا الله ما لكم من اله غيره﴾ أي: لا تعبدوا الا الله قال تعالى: ﴿وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون﴾ [الانبياء: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿قالت رسلهم أفي الله شك؟ فاطر السموات والارض﴾ [ابراهيم: ١٠]. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: هذا يحتمل شيئين: (أحدهما) أفي وجوده شك؟ فان الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الاقرار به، فان الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. (والمعنى الثاني) أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة الا هو وحده لا شريك له، فان غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى اهـ. قلت: وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول. وروى ابو جعفر ابن جرير بسنده عن عكرمة ومجاهد وعامر أنهم قالوا: ليس أحد الا وهو يعلم أن الله خلقه وخلق السموات والارض؟، فهذا ايمانهم. وعن عكرمة ايضا: تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون: الله. فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره، وتقدم أنّ «لا اله الا الله» قد قيدت في الكتاب =

وفي رواية: إلى أنْ يوحدوا الله، فإن هم أطاعوك لذٰلك فأعلمهم أن الله افترضَ عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة [١]، فإن هم أطاعوك لذٰلك فاعلمهم أنَّ الله افترضَ عليهم صدقة تُؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم [٢]، فإن هم أطاعوك لذلكَ فإياك وكرائم أموالهم [٣]، واتَّقِ

= والسنه بقيود ثقال، منها العلم واليقين والإخلاص والصدو، والمحبة والقبول والانقياد والكفر بما يعبد من دون الله، فاذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة، وان لم تجتمع هذه لم تنفعه، والناس متفاوتون في العلم بها والعمل: فمنهم من ينفعه قولها، ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفى.

(١) قوله: «فان هم اطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة» فيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة الا إذا أسلم بتركه الشرك باطنا وظاهراً، لأن الاسلام شرط لصحة العبادة كما قال النووي رحمه الله ما معناه: إنه يدل على ان المطالبة بالفرائض في الدنيا لا يكون إلا بعد الاسلام، ولا يلزم من ذلك أن يكونوا مخاطبين بها، ويزاد في عذابهم في الآخرة، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه، وهذا قول الأكثرين.

(٢) قوله: «فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم». فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحد الله، وصلى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها، والزكاة قرينة الصلوات في كتاب الله تعالى. ويدل على هذه الجملة قوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة﴾ [البينة: ٥]. فمن أتى بهذه الأمور أتى ببقية الاركان لقوة الداعي الى ذلك لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزوماً قال تعالى: ﴿فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [التوبة: ٥]. قال انس في الآية: توبتهم خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وعن ابن مسعود مرفوعا «أمرت بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له» وقال ابن زيد: أبى الله أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة، وفيه بيان مصرف الزكاة.

(٣) قوله: «فان هم اطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم» تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه الله ورسوله في الزكاة وهو أخذها من أوساط المال، لان ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونية صحيحة، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه، وهذا أصل ينبغي التفطن له.

دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حِجاب» أخرجاه (١). ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه (٢) أن رسول الله ﷺ قال يوم خيْبَر «لأُعطينَّ الراية غداً رَجُلا يُحِبُّ اللهَ ورسولَه ويُحبُّه اللهُ ورسولُه يفتحُ الله على يديه (٣) فبات الناس يَدُوكُونَ ليلتهم، أيُّهم يُعطاها. فلما أصبحوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «أينَ عليُّ بنُ أبي طالب (٤)؟»

---

(١) قوله: «واتق دعوة المظلوم» يدل على ان العامل اذا زاد على المشروع صار ظالما لمن أخذ ذلك منه، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين الله حجاب يمنع قبولها. وفيه التحذير من الظلم مطلقا، فعلى العامل ان يتحرى العدل فيما استعمل فيه، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق، ولا يحابي بترك شيء منه، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين. والله أعلم.

(٢) قوله: «عن سهل بن سعد» أي ابن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجي الساعدي أبو العباس، صحابي شهير، وأبوه صحابي أيضا، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة.

(٣) قوله: : أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه» الحديث. فيه البشارة بالفتح، وهو علم من أعلام النبوة، وقد وقع كما أخبر رسول الله ﷺ قوله: «يحب الله ورسوله» قال شيخ الاسلام: ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالأئمة فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله. لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فان الخوارج تقول في علي مثل ذلك. لكن هذا باطل، فان الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافراً. وفيه إثبات صفة المحبة لله خلافا للجهمية ومن اخذ عنهم، وفيه فضيلة أخرى لعلي رضي الله عنه بما خصه به من إعطاء الراية ودعوته أهل خيبر إلى الاسلام وقتالهم اذا لم يقبلوا، وقد جرى له رضي الله عنه في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي. وفيه مشروعية الدعوة إلى الاسلام الذي اساسه شهادة أن لا اله إلا الله لقوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ الآية [آل عمران: ١٠٤].

(٤) قوله: «فقال: اين علي بن ابي طالب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه». قال المصنف رحمه الله =

فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه [1] فأتي به فبصق في عَينيه ودعا له، فبرأ كأنْ لم يكن به وجع [2]، فأعطاه الرايةَ فقال: «انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم [3]. ثم ادْعُهم إلى الإسلام، وأخبرْهم بما يجب عليهم من حقِّ الله تعالى فيه [4]، فواللهِ لأنْ يهديَ الله بكَ رَجُلاً

= تعالى: فيه الايمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسعَ ومنعها عمن سعى.

(١) قوله: «فأرسلوا اليه» أي النبي ﷺ أرسل اليه من يأتيه به، وفي صحيح مسلم أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وعن اياس بن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه.

(٢) قوله: «فبصق في عينيه» أي تفل. قوله: «ودعا له فبرأ» هو بفتح الراء والهمزة، أي عوفي في الحال عافية كاملة، وذلك بدعوة النبي ﷺ كما في الحديث: فدعا فاستجيب له عليه السلام، وفيه علم من أعلام النبوة أيضا، وذلك كله بالله ومن الله وحده، وهو الذي يملك الضر والنفع، والعطاء والمنع، لا إله غيره ولا رب سواه.

(٣) قوله: «انفذ» هو بضم الفاء والهمزة . قوله: «على رسلك» «امره أن يسير اليهم بأدب وأناة،» «حتى تنزل بساحتهم» الساحة هي ما قرب من حصونهم.

(٤) قوله: «ثم ادعهم إلى الاسلام» هذا هو شاهد الترجمة، وهكذا ينبغي لأهل الاسلام ان يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق الى الاسلام والدخول فيه، وينبغي لولاة الأمر ان يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم، قال شيخ الاسلام: دين الاسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده، فأصله في القلب، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه. فمن عبده وحده وعبد معه إلها آخر لم يكن مسلمًا، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلما، وأما الايمان فأصله تصديق القلب واقراره ومعرفته.

قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» مما امر به وشرعه من حقوق «لا إله الا الله» وهذا يدل على أن الاعمال من الايمان، خلافا للأشاعرة والمرجئة في قولهم إنه القول، وزعموا ان الايمان هو مجرد التصديق، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة لأن الدين ما امر الله به فعلا وما نهى عنه تركا، وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها على فضلهم، وامير المؤمنين علي رضي الله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره وقد خد الاخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل=

واحداً خيرٌ لكَ من حُمْر النِّعَم (١). يدُوكون: أي يخوضون (٢).

فيه مسائل: (الاولى) أن الدعوة الى الله طريق من اتبعه ﷺ. (الثانية) التنبيه على الاخلاص، لان كثيراً من الناس لو دعا الى الحق فهو يدعو الى نفسه (الثالثة) أن البصيرة من الفرائض. (الرابعة) من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيهاً لله تعالى عن المسبة (الخامسة) أن من قبح الشرك كونه مسبة لله. (السادسة) وهي من اهمها إبعاد المسلم عن

= البيت وغيرهم، فصار من أشد الصحابة رضي الله عنه بعداً عن الشرك وشدة على من اشرك حتى احرقهم بالنار. وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع ما اعطى من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه. وهؤلاء افضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد، وشدة على اهل الشرك والتنديد، كما جرى لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة الى التوحيد وشدة على اهل الشرك والانكار عليهم وجهادهم، لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه ما قد يلتبس على الجهال الذين تلبسوا بالشرك ويظنون ان ذلك كرامات، وهي من مكر الشيطان واغوائه لمن لم يعرف الحق من الباطل وقد قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم﴾ [الزخرف: ٤٣]. ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشياطين كما اغتر به من اغتر في هذه الأمة ومن قبلهم. قوله: «وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه» من اداء الفرائض على الوجه الشرعي، والنهي عن تعدي الحدود التي حدها الله بين الحلال والحرام وذلك من الايمان، فالحلال ما احله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين ما شرعه الله فاذا أخذ بالاسلام الذي هو التوحيد والاخلاص وأحل ما أحله الله تعالى وحرم ما حرمه الله تعالى وأمر بذلك وجاهد عليه فقد قام بما وجب. وبالله التوفيق.

(١) قوله: «فوالله» فيه جواز الحلف على ما أفتي به. قوله: «لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم» حمر بسكون الميم الإبل الحمر وهي أنفس الأموال عند العرب. وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته، ليحصل للداعي الى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى، فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية. وبالله التوفيق.

(٢) قوله: «يدوكون، أي يخضون» بين المصنف رحمه الله تعالى معنى هذه اللفظة بأن المراد خوض السامعين في هذا الخير وتمنى حصوله.

المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك . (السابعة) كون التوحيد اول واجب . (الثامنة) أَنه يبدأُ به قبل كل شيء حتى الصلاة . (التاسعة) أَن معنى «أَن يوحدوا الله» معنى شهادة أَن لا اله الا الله . (العاشرة) أَن الانسان قد يكون من اهل الكتاب وهو لا يعرفها، او يعرفها وهو لا يعمل بها . (الحادية عشرة) التنبيه على التعليم بالتدريج . (الثانية عشرة) البدأة بالاهم فالاهم . (الثالثة عشرة) مصرف الزكاة . (الرابعة عشرة) كشف العالم الشبه عن المتعلم . (الخامسة عشرة) النهي عن كرائم الاموال . (السادسة عشرة) اتقاء دعوة المظلوم . (السابعة عشرة) الإخبار بأنها لا تحجب . (الثامنة عشرة) من ادلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الاولياء من المشقة والجوع والوباء . (التاسعة عشرة) قوله : «لاعطين الراية» إلخ علم من اعلام النبوة . (العشرون) تفله في عينيه علم من اعلامها ايضا . (الحادية والعشرون) فضيلة على رضي الله عنه . (الثانية والعشرون) فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح . (الثالثة والعشرون) الايمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى . (الرابعة والعشرون) . الادب في قوله : «على رسلك» . (الخامسة والعشرون) الدعوة الى الاسلام قبل القتال . (السادسة والعشرون) أَنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا . (السابعة والعشرون) الدعوة بالحكمة لقوله : «أَخبرهم بما يجب عليهم» (الثامنة والعشرون) المعرفة بحق الله تعالى في الاسلام . (التاسعة والعشرون) ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد . (الثلاثون) الحلف على الفتيا .

٦ - باب

تفسير التوحيد، وشهادةِ أَنْ لا إله إلا الله(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿أُولئِكَ الذينَ يَدْعون يَبْتغون الى رَبهِم الوسيلة أيهم إقربُ﴾ آلاية [الاسراء : ٥٧](٢). وقولِهِ: ﴿وإذ قال إبراهيمُ لأَبيه

(١) قوله: «باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا إله إلا الله»، من عطف الدال على المدلول، لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث، لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك واقامة الحجة على من غالط في معنى «لا إله إلا الله» من أهل الجهاد والالحاد.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ أي أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله: ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه. وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿ويرجون رحمته ويخافون عذابه﴾ فلا يرجون احداً سواه ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده، لأن ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والداعي لهم والحالة هذه قد عكس الامر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله ففيه معنى قوله: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ [فاطر: ١٤]. وقوله: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ [الأحقاف: ٦]. وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين انما هو بعبادة الأصنام، وتبين بهذه الآية أن الله تعالى انكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وان ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الأخلاص. فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد. فانها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزيز، فهم المعنيون بقوله: ﴿ قل ادعو الذين زعمتهم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾ [الأسراء: ٥٦] ثم بين تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال. ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ وقدم المعمول لانه يفيد الحصر، يعني يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره، وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به =

وقومِهِ إنني بَراءٌ مما تعبُدون إلَّا الذي فَطَرني﴾ [الزخرف: ٢٧]. الآية (١)، وقولِهِ: ﴿اتَّخَذُوا أَحبارهم ورُهبانَهم أَرْباباً مِن دُونِ الله﴾ [التوبة:

= انبياءه ورسله، وخلق الخلق لأجله. ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا انت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والاكرام»، وقوله: «اللهم إني أسألك بانك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد» وغير ذلك من الاعمال الصالحة الخالصة التي لم يشبها شرك، فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه. لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه بقوله: ﴿سبحان الله عما يشركون﴾ [الطور: ٤٣]. وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، يأمر عباده باخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظم عقوبته، كما قد جرى على الأمم المكذبة للرسل فيما جاءوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك، فأوقع الله تعالى بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم فانهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنوح ﴿ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ [هود: ٢٧]. وقالوا لهود ﴿ما جئتنا ببينة، وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك، وما نحن لك بمؤمنين﴾ [هود: ٥٣]. الآيات، وقالوا لصالح ﴿قد كنت فينا مرجوّا قبل هذا، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤ نا﴾ [هود: ٦٢]. وقالوا لشعيب ﴿أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤ نا﴾ [هود: ٨٧]. فتدبر ما قص الله تعالى في كتابه مما دعت اليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم فان الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة. وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم. قلت: وهذا لا يخالف ما تقدم، لأن هذه الآية حجة على كل من دعا مع الله ولياً من الأولين والآخرين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الآية وهذه الاقوال كلها حق، فان الآية تعم من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر.

(١) قوله: ﴿وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني فانه سيهدين﴾ الآية. الكلمة هي لا إله إلا الله باجماع أهل العلم، وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي اريد به، فعبر عن المنفى بها بقوله: ﴿انني براء مما تعبدون﴾ وعبر عما أثبتته بقوله: ﴿إلا الذي فطرني﴾ فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك، فما أحسن التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه. قال العماد ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبة﴾ [الزخرف: ٢٨]. أي هذه الكلمة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدى به فيها من هداه الله من =

٣١]. الآية [(١)]، وقولِهِ: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونهم كحُبِّ الله﴾ (٢) الآية [سورة البقرة: ١٦٥]

ذرية ابراهيم عليه السلام ﴿لعلهم يرجعون﴾أي إليها، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله: ﴿وجعلها كلمة باقية في عقبه﴾: يعني «لا إله إلا الله» لا يزال في ذريته من يقولها.

(١) وقوله تعالى: ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ الأحبار هم العلماء، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم، قال «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق، قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣١]. فصار ذلك عبادتهم وصاروا به لهم أرباباً من دون الله. وقال تعالى: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً، أيأمركم بالكفر بعد إذأنتم مسلمون؟﴾ [آل عمران: ٨٠]. وقوله: ﴿والمسيح ابن مريم﴾ [التوبة: ٣١]. أي اتخذوه ربا بعبادتهم له من دون الله، وقال تعالى: ﴿واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله، قال سبحانك﴾ إلى قوله: ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧]. فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى «لا إله إلا الله» وتبين له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعى العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة، وقد عمت البلوى بالجهل بعد القرون الثلاثة، لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليها المساجد، وبنيت لها المشاهد، فاتسع الامر. وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة، فبهذه الامور التي وقع فيها الاكثر عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، وقد قال ﷺ «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس» وفي رواية «يصلحون ما أفسد الناس».

(٢) قوله: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ الآية، الأنداد: الأمثال والنظراء كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين، فكل من صرف من العبادة شيئا لغير الله رغبة اليه أو رهبة منه فقد اتخذه ندا لله لأنه اشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه أي مع الله بعبادته له. =

في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال «من قال لا اله الا الله وكفرَ بما يُعبَد من دون الله حُرم مالهُ ودمُه، وحِسابُه على الله عز وجل [(١)]»

= وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى لايبذلها له. فهذا الحب وان سمى عشقا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواه، وأن لا تكون محبته لغير الله، فلا يحب إلا لله، كما في الحديث الصحيح «ثلاث من كن فيه» الحديث، ومحبة رسوله هي من محبته. ومحبة المرء ان كانت لله فهي من محبته. وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها. ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء الى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لالقائه في النار أو أشد، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة، فان الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئاً، فاذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه، بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار ان يلقى في النار ولا يكفر كان احب اليه من نفسه، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان، ولهذا من أشرك بين الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركا لا يغفره الله كما قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ والصحيح أن معنى الآية أن الذين آمنوا أشد حبا لله من أصحاب الانداد لأندادهم كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلا كما لا يماثل محبوبهم غيره، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين في محبته. انتهى.

(١) قال: في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «من قال لا إله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله عز وجل». قوله: «في الصحيح» أي صحيح مسلم، عن ابي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي ﷺ، فذكره. وأبو مالك أسمه سعد بن طارق، كوفي ثقة مات في حدود الاربعين قوله: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» اعلم ان النبي ﷺ علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث: (الأول) قول لا إله إلا الله. عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث، (والثاني) الكفر بما يعبد من دون الله. لكن ذكر في هذا الحديث «وكفر» تأكيداً لما دلت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد. قوله: «حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل» فيه دليل أنه لا يحرم ماله ودمه إذا قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، فان قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر =

وشـرح هذه الترجمة ما بعدها من الأَبواب (٢). فيه أَكبر المسائل وأَهمها، وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة، وبينها بامور واضحة (منها) آية الاسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أَن هذا هو الشرك الاكبر. و (منها) آية براءة، بين فيها ان اهل الكتاب اتخذوا أَحبارهم ورهبانهم أَرباباً من دون الله، وبين أَنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلها واحداً، مع أَن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في غير المعصية، لادعاؤهم إيّاهم. و (منها) قول الخليل عليه السلام للكفار (انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني) [الزخرف: ٢٧] فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر سبحانه أَن هذه البراءة وهذه الموالاة هي تفسير شهادة أَن لا إله إلا الله فقال: ﴿وجعلها كلمة

به، ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع، قال شيخنا: وهذا من اعظم ما يبين معنى الا إله إلا الله فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الا قرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيا لها من مسألة ما أجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع، انتهى. قوله: «وحسابه على الله عز وجل» أي الله تعالى هو الذي يتولى حسابه، فان كان صادقاً جازاه بجنات النعيم، وإن كان منافقاً عذبه العذاب الأليم، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر.

(٢) قوله: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب» فقد ذكر فيها رحمه الله تعالى ما يبين التوحيد وما ينافيه، وما يقرب منه، وما يوصل اليه من الوسائل، وبيان ما كان عليه السلف من بعدهم عن الشرك في العبادة وشدة انكارهم له وجهادهم على ذلك. وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر وكذلك الرد على اهل الاهواء جميعهم، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع، فتدبره تجد ذلك بينا، وسيأتي التنبيه على ذلك أن شاء الله تعالى.

باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ [الزخرف: ٢٨]. (ومنها) آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾[البقرة: ١٦٧]. ذكر انهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على انهم يحبون الله حباً عظيما ولم يدخلهم في الاسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله، فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله! و (منها) قوله ﷺ «من قال لا إله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»، وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله، فانه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الاقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو الا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف الى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فان شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه. فيا لها من مسألة ما اعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.



٧ ـ باب

مِنَ الشرك لُبسُ الحَلْقة والخَيط ونحوِهما لرفع البلاءِ أَو دفعه(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿قل أَفرأَيتم ما تَدْعون من دون الله إن ارادنيُ الله بِضُرٍ هل هنَّ كاشفاتُ ضرِّه﴾ [الزمر: ٣٨]. الآية (٢)

---

(١) قوله: «باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه». أي لرفعه اذا نزل ودفعه قبل ان ينزل، يعني اذا كان هذا هو القصد فتعلق قلبه به في دفع ضر مما قد نزل ومما لم ينزل قد صرحت الاحاديث بأن هذا من الشرك بالله.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها. قلت: فاذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك ان يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوما لا محيد لهم عنه، وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجه في الله فقال: ﴿أنا أحيي وأميت، قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]. فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الامثال وغير ذلك وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب﴾ [الحج: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانو يعلمون. إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم. وتلك الأمثال نضر بها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ [العنكبوت: ٤١]. وقال: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ [النمل: ٦٥]. ذكر العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس ابن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعاً «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، =

عن عِمْرانَ بنِ حُصَين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حَلقْة من صُفْر فقال «ما هذه»؟ قال: من الواهنة. فقال «انزعْها فانها لا تزيدك إلا وَهْناً، فانك لو مُتَّ وهي عليك ما أَفلحَت أبداً» رواه أحمد بسند لا بأس به (١) وله عن عُقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعا «من تعلَّق

ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم ان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»

(١) قوله: «عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ فقال: من الواهنة، فقال: انزعها فانها لا تزيدك إلا وهنا، فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً. رواه أحمد بسند لا بأس به». قوله: «عمران بن حصين» أي ابن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغرة، صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة. قوله: «رأى رجلا» في رواية الحاكم: دخلت على رسول الله ﷺ وفي عضدي حلقة صفر فقال «ما هذه»؟ الحديث. فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث. قوله «ما هذه»؟ الظاهر انه للانكار عليه. قوله «من الواهنة» قال أبو السعادات: الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ في العضد، وهي تأخذ الرجال دون النساء. وانما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع هذا الداء أو ترفعه، فأمره النبي ﷺ بنزعها لذلك وأخبر أنها لا تزيده إلا وهنا، فان المشرك يعامل بنقيض قصده لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، فاذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطم وأعظم؟ كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل. قال المصنف رحمه الله تعالى: فيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة لقوله «فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً» والفلاح هو الفوز والظفر والسعادة. قوله «رواه أحمد بسند لا بأس به» هو الامام أحمد بن محمد بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي أمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث وأشدهم ورعاً، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة: عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه. أتته الدنيا فأباها، والشبه فنفاها. روى عن الشافعي ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي ويحى القطان وابن عيينة وعبد الرزاق وخلق لا يحصون. مات سنة احدى واربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى.

تميمةً فلا أَتمَّ الله له، ومن تعلَّق وَدَعةً فلا وَدَع الله له». وفي رواية «من تعلق تميمة فقد اشرك»[(١)] ولابن أَبي حاتم عن حُذيفة رضي اللهُ عنه أَنه رأَى رجلا في يده خيطٌ من الحُمَّىٰ فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وما يُؤمن أَكثرُهم بالله إلَّا وهم مُشركون﴾[(٢)] [يوسف: ١٠٦].

---

(١) قوله: وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً «من تعلق تميمة فلا اتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وفي رواية من تعلق تميمة فقد اشرك». عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريباً من الستين. وهذا الحديث فيه التصريح بان تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره او جلب ما ينفعه، وهذا ايضا ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله، لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله كما تقدم في قوله: ﴿ومن احسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء: ١٣٥]. فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم، فاذا كان هذا قد خفي على بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والايمان بمراتب بعد ما حدث من البدع والشرك، كما في الاحاديث الصحيحة وتقدمت الإشارة إلى ذلك. وهذا مما يبين معنى لا إله إلا الله ايضا فانها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالى: ﴿شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾ [آل عمران: ١٨]. قوله: «فلا أتم الله له» دعاء عليه، وكذلك قوله: «فلا ودع الله له» أي لا جعله في دعة وسكون.

(٢) قوله: ولابن ابي حاتم أنه رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾. ابن أبي حاتم هو الامام أبو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم محمد بن ادريس المرادي التميمي الحنظلي صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرها مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. وحذيفة هو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغر، ويقال حسل بكسر ثم سكون، العبسي بالموحدة، حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين ويقال له صاحب السر، وأبوه صحابي أيضا. مات حذيفة في اول خلافة علي سنة ست وثلاثين. قوله: رأى رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾. فيه دليل على أن هذا شرك، وأن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات والأحاديث عموماً وخصوصاً، لما قد عرفت أنه ينافي كمال الاخلاص. إذا كان مثل هذا وقد خافه النبي ﷺ على الصحابة كما تقدم في قوله: «أخوف ما اخاف عليكم الشرك الأصغر» =

فيه مسائل: (الاولى) التغليط في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك (الثانية) أَن الصحابي لو مات وهي عليه ما أَفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أَن الشرك الاصغر أَكبر الكبائر. (الثالثة) أَنه لم يعذر بالجهالة. (الرابعة) أَنها لا تنفع في العاجلة بل تضر لقوله «لا تزيدك إلا وهناً». (الخامسة) الإِنكار بالتغليط على من فعل مثل ذلك. (السادسة) التصريح بأَن من علق شيئاً وكل اليه. (السابعة) التصريح بأَن من علق تميمة فقد اشرك (الثامنة) أَن تعليق الخيط من الحمى من ذلك (التاسعة) تلاوة حذيفة الآية دليل على أَن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الأَكبر على الأَصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة. (العاشرة) أَن تعليق الودع عن العين من ذلك. (الحادية عشرة) الدعاء على من تعلق تميمة أَن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أَي لا ترك الله له.

فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يؤمن أن يقع ما هو أعظم منه؟ لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه، حتى ان كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكر الشرك الأكبر، فصاروا هم والصحابة رضي الله عنهم في طرفي نقيض، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك، وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة. وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة لله وحده، والنهي عن الشرك. وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بذلك كما بعث به من قبله، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه رسول الله ﷺ مشركي العرب وغيرهم، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الانكار، فانه ﷺ لما قال لقريش «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» عرفوا معناها الذي وضعت له وأريد منها فقالوا ﴿أجعل الآلهة إلها واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ [الصافات: ٣٥]. وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل =

٨ - باب

ما جاءَ في الرقىٰ والتمائم[١]

في الصحيح عن أبي بَشير الانصاري رضي الله عنه أَنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أَسفاره فأَرسل رسولا أَن لا يبقين في رقبة بغير قلادةٌ من وَتَر أَو قلادة إلا قطعت[٢]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول لله ﷺ يقول «إن القُّىٰ والتمائم والتِّوَلَةَ شِرك» رواه أَحمد وابو

= لأبي سفيان عن النبي ﷺ قال له: فماذا يأمركم؟ قلت: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم» ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

(١) قوله: «باب ما جاء في الرقى والتمائم» أي من النهي عما لا يجوز من ذلك

(٢) قوله: «في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ في بعض اسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت» هذا الحديث في الصحيحين واسم أبي بشير قيس بن عبيد قاله ابن سعد. وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح، وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال انه جاوز المائة. قوله: «فأرسل رسولا» هو زيد بن حارثة، روى ذلك الحارث ابن أبي أسامة في مسندة، قاله الحافظ. قوله: «أن لا يبقين» بفتح الياء والقاف، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف، والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب، اعتقاداً منهم بهذا أنه يدفع عن الدابة العين، ولهذا امر ﷺ بقطع الأوتار التي علقت على الابل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها. قوله: «أو قلادة إلا قطعت» يحتمل أن ذلك شك من الراوي، ولأبي داود «ولا قلادة» بغير شك فعلى هذه الرواية تكون أو بمعنى الواو، قال البغوي في شرح السنة: تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين وذلك انهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون انها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئا، قال ابو عبيد: كانوا يقلدون الإبل أوتاراً لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي ﷺ بازالتها اعلاما لهم بأن الأوتار لا ترد شيئا.

داود[1]. وعن عبد الله بن عُكَيم مرفوعا «من تعلَّق شيئا وُكل اليه» رواه أحمد والترمذي[2].

---

(١) قوله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» رواه احمد وأبو داود، ولفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطاً فقال: ما هذا؟ قلت خيط رقي لي فيه. قالت فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ان الرقى والتمائم والتولة شرك» قال المصنف رحمه الله تعالى لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه. والمقصود بيان أن هذه الامور الشركية وان خفيت فقد نهى عنها رسول الله ﷺ وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه «لا إله إلا الله» من نفى الشرك قليله وكثيره لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الامور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله ﷺ من التحدير من الشرك والتغليظ في إنكاره وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا.

(٢) قوله: عن عبد الله بن عكيم مرفوعا «من تعلق شيئا وكل إليه» رواه أحمد والترمذي. وعبد الله بن عكيم بضم المهملة مصغر ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي. قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة. قوله: «من تعلق شيئا وكل اليه» التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل. وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ١١٢]. فان كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد، وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة ارباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر بالله، وخروج من دين الاسلام، ولا يصح معه قول ولا عمل. قوله: «وكل إليه» أي وكله الله اليه، إلى ما علق قلبه به من دون الله ومن وكله الله إلى غيره ضل وهلك، قال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن قاسم حدثنا أبو سعيد المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخرساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت حدثني أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: نعم، أوحى الله إلى داود عليه السلام «يا داود أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن فرجا ومخرجا، أما وعزتي وعظمتي ما يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت =

التمائم : شيىءُ يعلّق على الاولاد عن العين ، لكن اذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ؛ منهم ابن مسعود رضي الله عنه . والرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة . والتولة : شيءٌ يصنعونه يزعمون أَنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأَته .

وروى أَحمد عن رُوَيفع قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا رويفعُ ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأخبر الناسَ أَنَّ من عَقَدَ لحيته أَو تقلَّد وَتَراً ، أَو استنجىٰ برَجِيع دابَّة أَو عظم ، فان محمداً بريءٌ منه [1]» . وعن سعيد بن

= الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأي واد هلك» . وشاهد هذا في القرآن فتدبر .

(١) قوله : روى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول الله ﷺ «يا رويفع ، لعل الحياة تطول بك ، فاخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمداً بريء منه» . رويفع هو ابن ثابت بن السكن بن عدى بن الحارث الأنصاري نزل مصر وولى برقة . له ثمانية أحاديث . قال عبد الغني ولي طرابلس فافتتح افريقية سنة سبع وأربعين وقال ابن يونس توفي ببرقة سنة ست وخمسين . قوله : «لعل الحياة تطول بك» فقد طالت حياته رضي الله عنه كما أخبر النبي ﷺ . «قوله فأخبر الناس أن من عقد لحيته» قال الخطابي أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين : ﴿أحدهما﴾ ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زي بعض الأعاجم يفتلونها ويعقدونها ، قال ابو السعادات تكبرا أو عجبا . (ثانيهما) أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد .اهـ . قلت : ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك اطرافه لذلك وهي بعضه ، وفي حديث زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ «من لم يأخذ من شاربه فليس منا» رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال : صحيح ، وفي الصحيح «خالفوا المشركين ، احفوا الشوارب واعفوا اللحي» وذلك يدل على الوجوب ، وذكر ابن حزم الاجماع على أنه فرض ، فيتعين النهي عن ذلك . قوله : «أو تقلد وتراً» فيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها ، قوله : «أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمداً بريء منه» هذا =

جُبير قال « من قَطع تميمةً من إنسان كان كعَدْل رَقبة» رواه وكيع[١]. وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها، من القرآن وغير القرآن[٢].

= دليل على أن هذا والذي قبله من الكبائر لأن قوله ان محمداً بريء منه يدل على ذلك. وقال النووي رحمه الله تعالى: أي بريء من فعله فهذا التأويل بعيد لعود الضمير إلى «من» وقد ورد النهي عن الإستنجاء بالروث والعظام في احاديث صحيحة كما لا يخفى: منها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً «لا تستنجوا بالروث والعظام فانه زاد إخوانكم من الجن» ولما روى ابن خزيمة والدار قطني عن ابي هريرة: نهى أن يستنجى بعظم أو روث وقال «إنهما لا يطهران»، وعنه لا يجزيء الإستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب أحمد.

(١) قوله: وعن سعيد بن جبير قال: «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة». رواه وكيع. هذا عند أهل العلم له حكم الرفع، لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون هذا مرسلا لأن سعيداً تابعي، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب، وفيه مع ما تقدم أنه شرك، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه، فلما اشتدت غربة الاسلام في أواخر هذه الأمة صار انكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتى عند من ينتسب إلى العلم كما لا يخفي، ووكيع هو ابن الجراح بن وكيع الكوفي ثقة امام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره روى عنه الامام أحمد وطبقته. مات سنة سبع وتسعين ومائة.

(٢) قوله: وله عن ابراهيم قال «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن» ابراهيم هو الامام ابراهيم بن يزيد النخعي الكوفي يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها. وقوله: «كانوا يكرهون» أراد أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمة والاسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين في زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرم، وهذا القول الصحيح لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة (منها) دخوله في عموم المنهي عنه (ومنها) كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى عدم إنكارها (الثالث) ان تعليق القرآن يكون سبباً في امتهانه فلا بد أن يدخل به الخلاء ونحوه. قال المصنف رحمه الله تعالى: والرقى هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة. والتولة شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، قال الحافظ التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر. والله أعلم.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الرقى والتمائم (الثانية) تفسير التولة (الثالثة) أن هذه الثلاث كلها عن الشرك من غير استثناءٍ. (الرابعة) أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك (الخامسة) أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟ (السادسة) ان تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك. (السابعة) الوعيد الشديد على من علق وترا. (الثامنة) فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان. (التاسعة) أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لان مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.



٩ ـ باب
من تبرك بشجرةٍ أَو حجرٍ ونحوهما[١]

وقولِ الله تعالى: ﴿أَفَرأَيتُم اللّاتَ والعُزَّى﴾ الآيات[٢]

عن أَبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَين ونحن حُدَثاء عهدٍ بكفر، وللمشركين سِدْرةٌ يعكفُون عندها ويَنوطون بها اسلحتهم، يقال لها ذات أَنْواط، فمررنا بِسدرة فقلنا: يا رسولَ الله اجعل لنا ذات أَنواط كما لهم ذاتُ أَنواط، فقال رسول الله ﷺ «اللهُ أَكبر، إِنها السُّنَن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل لموسى: ﴿اجعل

---

(١) قوله: «باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما» كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك. و «من» اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك بالله.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿ أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]. هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز. فاللات لأهل الطائف ومن حولهم من العرب، والعزى لقريش وبني كنانة، ومناة لبني هلال. وقال ابن هشام كانت لهذيل وخزاعة، واللات بتخفيف التاء في قراءة الجمهور، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب بتشديد التاء، فعلى الأولى قال الأعمش سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، وقال ابن كثير: اللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون بها على من عاداهم من أحياء العرب بعد قريش قاله ابن هشام، وعلى الثانية قال ابن عباس كان رجلا يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ذكره البخاري. قلت: ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يلت السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات. وأما العزى قال ابن جرير كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أُحد لنا العزى ولا عزى لكم. قال رسول الله ﷺ «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم». ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى انما كان بالتفات القلوب رغبة اليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر فصارت أوثانا تعبد من دون الله، وذلك من شدة ضلال أهل الكفر وفساد عقولهم كما قال تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا =

لنا الهاً كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون﴾ [الأعراف: ١٣٨].
لتركبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم». رواه الترمذي وصححه [١].

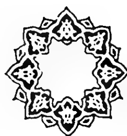
ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤ نا عند الله﴾ [يوسف: ١٨]. فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في اواخر هذه الأمة.

(١) قوله: عن ابي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات أنواط. فقال رسول الله «الله أكبر، انها السنن، قلتم ـ والذي نفسي بيده ـ كما قالت بنو اسرائيل لموسى ﴿إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة فقال إنكم قوم تجهلون﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم» رواه الترمذي وصححه. قوله: «عن ابي واقد» هو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة. قوله: «خرجنا مع رسول الله ﷺ» يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذ ذاك. قوله: «إلى حنين» هو اسم واد بشرقي مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هوازن كما قال تعالى: ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾ [التوبة: ٢٥]. والواقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم وما جرى فيها من النصر وأخذ اموالهم وسبى ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة ﴿ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ [التوبة: ٢٦]. قوله: «ونحن حدثاء عهد بكفر» يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريبا. فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث، بخلاف من تقدم إسلامه. قوله: «وللمشركين سدرة يعكفون عندها» عبادة لها وتعظيما وتبركا، لما كانوا يعتقدون فيها من البركة. قوله: «يقال لها ذات أنواط» هو برفع التاء كما لا يخفى. قوله: «ينوطون بها أسلحتهم» أي يعلقونها. قوله: «فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ـ أي للمشركين ـ ذات أنواط»، ظنوا ان النبي ﷺ لو قال لهم ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة لمن اعتقدها فيها. وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط. قوله: «فقال النبي ﷺ: الله أكبر» تعظيما لله تعالى عن أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده كما قال تعالى: ﴿أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ [يونس: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ [الروم: ٤٣]. وهو الاخلاص، والشرك ينافي ذلك، وتقدم معنى الحنيف. وتضمنت هاتان الآيتان وما في معناهما التوحيد الذي دلت عليه «لا إله إلا الله» نفيا وإثباتاً كما تقدم بيانه. فمن التفت قلبه لغير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو اصل دين الاسلام الذي لا يقبل الله من أحد دينا سواه. قوله (السنن) =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية النجم. (الثانية) معرفة صورة الأمر الذي طلبوا. (الثالثة) كونهم لم يفعلوا. (الرابعة) كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك لظنهم أنه يحبه. (الخامسة) أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل. (السادسة) أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم. (السابعة) أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله اكبر، إنها السنن، لتتبعن سنن من كان قبلكم» فغلظ الامر بهذه الثلاثة. (الثامنة) الامر الكبير وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني سرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً. (التاسعة) أن نفي هذا من معنى لا اله الا الله مع دقته وخفائه على اولئك. (العاشرة) أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة. (الحادية عشرة) أن الشرك فيه أكبر واصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا. (الثانية عشرة) قوله: «ونحن حدثاءُ عهد بكفر» فيه ان غيرهم لا يجهل ذلك. (الثالثة عشرة) التكبير عند التعجب خلافا لمن كره. (الرابعة عشرة) سد الذرائع. (الخامسة عشرة) النهى

بضم السين أي الطرق يشير إلى الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده. قوله: «قلتم والذي نفسي بيده» حلف ﷺ على ذلك تأكيداً لهذا الخبر وتعظيما له كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ وان لم يسموها آلهة، اخبر أن التبرك بالاشجار يجعلها آلهة ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾ فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عبادة الأصنام. قوله: «لتركبن سنن من كان قبلكم» اي اليهود والنصارى، وقد وقع كما أخبر به النبي ﷺ في هذه الأمة، فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا. كما هو في الاحاديث الصحيحة كحديث «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال «فمن»؟ وهو في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفي رواية «ومن الناس إلا أولئك؟»

عن التشبه بأهل الجاهلية. (السادسة عشرة) الغضب عند التعليم. (السابعة عشرة) القاعدة الكلية لقوله: «انها السنن». (الثامنة عشرة) أن هذا من اعلام النبوة لكونه وقع كما اخبر. (التاسعة عشرة) أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا. (العشرون) أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر: أما «من ربك» فواضح، وأما «من نبيك» فمن إخباره بأنباءِ الغيب، وأما «ما دينك» فمن قولهم: ﴿اجعل لنا إلهاً﴾ الى آخره. (الحادية والعشرون) أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين. (الثانية والعشرون) أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم: «ونحن حدثاءُ عهد بكفر».



١٠ ـ باب

ما جاءَ في الذبح لغير الله

وقولِ الله تعالى: ﴿قُلْ إن صَلاتي ونُسُكي ومَحْيايَ ومَمَاتي لِلهِ ربِّ العالمين لا شَريك لَه﴾ [الأنعام: ١٦٢]. الآية [١] وقوله: ﴿فَصَلِّ لربِّكَ وانحرْ [٢]﴾ [الكوثر: ٢].

---

(١) قوله: «باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾ الآية. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمره تعالى بمخالفتهم والانحراف عماهم فيه والاقبال بالقصد والنية والعزم على الاخلاص لله تعالى. انتهى. فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الاسلام بعد الشهادتين. وقوله (صلاتي) يشمل الفرائض والنوافل، والصلوات كلها عبادة وقد اشتملت على نوعي الدعاء ـ دعاء المسألة ودعاء العبادة ـ فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعا قرره شيخ الاسلام وابن القيم رحمهما الله تعالى قوله (ونسكي) قال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير: «نسكي» ذبحي، وكذلك قال الضحاك. قوله. ﴿ومحياي ومماتي﴾ أي ما آتيه في حياتي وما اموت عليه من الإيمان والعمل الصالح ﴿لله رب العالمين﴾ خالصا لوجهه ﴿لا شريك له، وبذلك امرت وأنا أول المسلمين﴾ أي من هذه الأمة، وهذا قول أئمة التفسير. والمقصود ان هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز ان يصرف منها شيء لغير الله كائنا من كان فمن صرف منها شيئا لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله: ﴿وما أنا من المشركين﴾. والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في عبادته وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه.

(٢) قوله: ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال شيخ الاسلام: أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والإفتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس أهل الكبر والنفرة واهل الغنى عن الله الذي لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قل إن صلاتي =

عن علّيٍ رضي الله عنه قال: حَدَّثني رسولُ الله ﷺ بأَربع كلمات: لعَنَ اللهُ من ذَبحَ لغير الله، لعَن اللهُ من لَعن والديه، لَعن اللهُ من آوى محدِثا، لعنَ اللهُ من غَيَّرَ مَنارَ الارض» رواه مسلم (١). وعن طارق بن

= ونسكي﴾ الآية هـ. وقد قال تعالى: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ الآية [المائدة: ٣].

(١) قوله: عن علي رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الارض» رواه مسلم. وعلي بن ابي طالب هو الامام أبو الحسن الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما كان من أسبق السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ومناقبه مشهورة رضي الله عنه، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة اربعين. قال ابو السعادات: أصل اللعن الطرد والابعاد من الله. قوله «من ذبح لغير الله» قال شيخ الاسلام: قوله: ﴿وما أهل به لغير الله﴾ ظاهره انه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا اظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان ازكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله، فاذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك اولى فان العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً اليه يحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال الخ، ومن ذلك الذبح للجن. قوله: «لعن الله من لعن والديه» يعني أباه وأمه وان علوا، وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال: «من الكبائر شتم الرجل والديه» قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه؟ قال: «نعم يسب ابا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه». قوله: «لعن الله من آوى محدثاً» وهو بفتح الهمزة ممدودة أي ضمه اليه وحماه، وأما محدثاً فقال ابو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول، فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه، ويكون معنى الايواء فيه الرضى به والنصر، فانه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه، فكلما كان الحدث في نفسه اكبر كانت الكبيرة أعظم. قوله: «لعن الله من غير منار الارض» بفتح الميم علامات حدودها، وهي التي =

شهاب ان رسول الله ﷺ قال: «دخل الجنَةَ رجلٌ في ذُباب ودخلَ النارَ رجلٌ في ذُبابٍ» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله (١)؟ قال: مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزُه أَحدٌ حتى يقَرب له شيئاً, فقالوا لاحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أُقرِّبُ. قالوا له: قرِّبْ ولو ذباباً. فقرَّبَ ذُبابا، فخلوا سبيله، فدخل النار (٢). وقالوا للاخر قرِّبْ. فقال: ما

= توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور، قال في النهاية أي معالمها وحدودها. قلت: وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تمييز حقه من حق شريكه فيأخذ من حق شريكه بعضه فهذا ظلم عظيم. وفي الحديث «من ظلم شبراً من الارض طوقه من سبع ارضين يوم القيامة». فما أجهل أكثر الخلق حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرهم في دنياهم وأخراهم. وذلك لضعف الايمان بالمعاد والحساب على الأعمال والجنة والنار، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

(١) قوله: عن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما قرب قال ليس عندي شيء أقرِّب، قالوا له قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار، وقالوا للآخر قرب، فقال ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة. رواه أحمد. قوله «عن طارق بن شهاب» البجلي الأحمسي ابو عبد الله قال ابو داود: رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً. قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته على ما جزم ابن حبان سنة ثلاث وثمانين، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: قال الامام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو معاوية الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال: «دخل الجنة رجل في ذباب» الحديث. قوله: «في ذباب» أي من أجله. قوله: «قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟» كأنهم والله أعلم تقالوا هذا العمل وهو تقريب الذباب للصنم فبين لهم النبي ﷺ أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار.

(٢) قوله: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا: لأحدهما قرب، فقال ليس عندي شيء أقرب، قالوا له قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار» لأنه قصد غير الله بقلبه أو انقاد بعمله فوجبت له النار، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعا «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» فاذا =

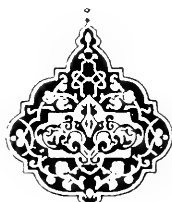
كنت لاقرب لاحدٍ شيئاً دُونَ الله عزَّ وجلَّ، فضربوا عنقه، فدخل الجنة» رواه أَحمد [٢].

فيه مسائل: (الاولى) تفسير ﴿إن صلاتي ونسكي﴾. (الثانية) تفسير ﴿فصل لربك وانحر﴾. (الثالثة) البداءَة بلعنة من ذبح لغير الله. (الرابعة) لعن من لعن والديه، ومنه ان تلعن والدي الرجل فيلعن والديك. (الخامسة) لعن من آوى محدثا، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجيء إلى من يجيره من ذلك. (السادسة) لعن من غير منار الارض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الارض وحق جارك فتغيرها بتقديم أَو تاخير. (السابعة) الفرق بين لعن المعيَّن ولعن أَهل المعصية على سبيل العموم. (الثامنة) هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب، (التاسعة) كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم. (العاشرة) معرفة قدر الشرك في

= كان هذا فيمن قرب للصنم ذباباً فكيف بمن يستسمن الابل والبقر والغنم ليتقرب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون الله من ميت أو غائب أو طاغوت أو مشهد او شجر او حجر او غير ذلك؟ وكان هؤلاء المشركون في اواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون الله، وقد عمت البلوى بهذا وما هو أعظم منه.

(١) قوله: «وقالوا للآخر: قرِّب، قال ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل، فضربوا عنقه فدخل الجنة». ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه وصلابتهم في الأخلاص كما في حديث انس الذي في البخاري وغيره الآتي ان شاء الله تعالى: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وفيه «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» وفيه تفاوت الناس في الايمان، لأن هذا الرجل الذي قرب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبل ما فعله مع هذا الصنم كما هو ظاهر الحديث. والله أعلم.

قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر. (الحادية عشرة) أن الذي دخل النار مسلم، لانه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب. (الثانية عشرة) فيه شاهد للحديث الصحيح «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك». (الثالثة عشرة) معرفة أن عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الأوثان.



١١ ـ باب

لا يُذْبَح لله بمكانٍ يُذْبَحُ فيه لغيرِ الله(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿لا تَقُم فيه أَبدا﴾ [التوبة: ١٠٨]. الآية (٢)

عن ثابت بن الضَّحَّاك رضي الله عنه قال: نَذَرَ رجـلٌ أَن يَنْحَرَ إبلا ببُوانَة فسأل النبيَّ ﷺ فقال: «هل كان فيها وَثَنٌ من أَوثان الجاهلية

---

(١) قوله: «باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله». أشار رحمه الله تعالى الى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الاسلامية، فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العالمين.

(٢) قوله: «وقول الله تعالى: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ الآية» أي مسجد الضرار المذكور في قوله: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون، لا تقم فيه أبداً، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجد قباء فقد أسس على التقوى من أول يوم قدم فيه ﷺ المدينة مهاجراً وكان أهل مسجد الضرار قد بنوه قبل خروج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك فأتوه فسألوه أن يصلي فيه وذكروا له أنهم بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال: «إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله» فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث اليه وهدمه قبل قدومه إلى المدينة صلوات الله وسلامه عليه، وانزل الله فيه هذه الآيات، ووجه مطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب فنهى الله نبيه ﷺ أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وخرج مخرج الخصوص والنهي عام، وما كان مثله من الأمكنة فانه يعطى حكمه لأن المعصية صيرته محلا خبيثاً وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه. ويقابل ذلك المساجد وهي أشرف بقاع الأرض قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال﴾ [النور: ٣٦]. الآية. فما أحسن هذا القياس، ويأتي تقريره في الحديث في الباب أن شاء الله تعالى.

يُعْبَد»؟ قالوا لا قال: «فهل كان فيها عيدٌ من أَعيادهم»؟ قالوا: لا [1]، فقال رسول الله ﷺ «أَوفِ بنَذْرك، فانه لاوَفاءَ لنذر في معصية الله، ولا

---

(١) قوله: عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ قالوا: لا، قال: «فهل كان فيها عيد من أعيادهم»؟ قالوا: لا. فقال رسول الله ﷺ «أوف بنذرك، فانه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم». رواه ابو داود واسناده على شرطهما. قوله: «عن ثابت بن الضحاك» أي ابن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره، مات سنة أربع وستين. قوله: «ببوانة» بضم الباء وقيل بفتحها، قال البغوي موضع في أسفل مكة دون يلملم، قال ابو السعادات هضبة من وراء ينبع. قوله: «فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد»؟ فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله قاله المصنف رحمه الله تعالى، وهو شاهد الترجمة. قوله: «فهل كان فيها عيد من اعيادهم» ؟ قال شيخ الاسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحوه، والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية. فالعيد يجمع اموراً: منها يوم عائد ليوم الفطر ويوم الجمعة، ومنها اجتماع فيه، ومنها اعمال تتبع ذلك من العبادات والعادات، وقد يختص العيد بمكان بعينه، وقد يكون مطلقاً، وكل من هذه الامور قد يسمى عيداً في الزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة «إن هذا اليوم جعله الله للمسلمين عيداً» وللاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنه: شهدت العيد مع رسول الله ﷺ، والمكان كقول النبي ﷺ «لا تتخذوا قبري عيداً، «وقد يكون لفظ العيد اسما لمجموع اليوم والعمل فيه وهو الغالب كقول النبي ﷺ «دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيداً» انتهى. وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيداً كمولد البدوي في مصر وغيره، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة، قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه استفصال المفتى المنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله. قلت: وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلا للعبادة لكونها صارت محلا لما حرم الله من الشرك والمعاصي والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلا لما يسخط الله تعالى، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة، والمصنف رحمه الله تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وانما ذكر الذبح كالمثال. وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً، والجواب والله اعلم أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشى أن تفتتن به قلوب الجهال فيرجع إلى جعله وثناً كما كان يفعل فيه أولاً فجعله مسجداً والحالة هذه ينسى ما كان يفعل فيه ويذهب فيه أثر الشرك بالكلية، فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض. والله أعلم.

فيما لا يَمِلكُ ابنُ آدم» رواه أَبو داود، واسناده على شرطهما [١].

فيه مسائل: (الاولى) تفسير قوله: ﴿لا تقم فيه ابداً﴾ . (الثانية) أَنْ المعصية قد تؤثر في الارض، وكذلك الطاعة. (الثالثة) رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة ليزول الاشكال. (الرابعة) استفصال المفتي إِذا احتاج الى ذلك. (الخامسة) أَن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع. (السادسة) المنع منه اذا كان فيه وثن من اوثان الجاهلية ولو بعد زواله. (السابعة) المنع منه اذا كان فيه عيد من اعيادهم ولو بعد زواله. (الثامنة) أَنه لا يجوز الوفاءُ بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية. (التاسعة) الحذر من مشابهة المشركين في أَعيادهم ولو لم يقصده. (العاشرة) لا نذر في معصية. (الحادية عشرة) لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

(١) قوله «أوف بنذرك» وذلك لعدم المانع، قوله «فإنه لاوفاء لنذر في معصية الله» فالحديث دل على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لايجوز أن يعبد الله فيها، ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به. قوله «ولا فيما لايملك ابن آدم» قال في شرح المصابيح: يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال إن شفى الله مريضي فلله علي أن اعتق رقبة، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها، فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته. قوله «رواه ابو داود واسناده على شرطهما» أي البخاري ومسلم، وأبو داود اسمه سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد الازدي السجستاني صاحب الامام أحمد بن حنبل ومصنف السنن والمراسيل وغيرها، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى.

١٢ ـ باب

مِنَ الشِّرْكِ النَّذْرُ لغير الله

وقولِ الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بالنَّذْر﴾ (١) [الإنسان: ٧]. وقوله: ﴿وما أَنْفَقْتُم مِنْ نَفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِنْ نَذْرٍ فانَّ الله يَعْلَمُه﴾(١) [سورة البقرة: ٢٧٠].

---

(١) قوله «باب من الشرك النذر لغير الله وقول الله تعالى (يوفون بالنذر) الآية. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: أي يتعبدون لله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

(١) قوله (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه). قال ابن كثير يخبر تعالى بانه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه. قال شيخ الأسلام رحمه الله تعالى: وأما النذر لغير الله ـكالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك ـ فهو شرك. وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهنا لتنوّر به ويقول انها تقبل النذر كما يقوله بعض المشركين: فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لايجوز الوفاء به، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فان فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند العزَّى ومناة يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام (ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون). [الأنبياء: ٥٢]، فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها. انتهى. وذلك لأن الناذر لله وحده علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله. والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب، فقد جعله شريكاً لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته «لا إله إلا الله» من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد والطلب فقد خالف ما نفته «لا إله إلا الله» فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد، وهذا معنى قول شيخنا: وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب. فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تتضمنه من التوحيد. قال الرافعي في شرح المنهاج: وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ، أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه، فهذا النذر باطل غير منعقد، فان معتقدهم أن هذه الأماكن =

وفي الصحيح عن عائشةَ رضي الله عنها أَن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، ومَنْ نَذَرَ أَن يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِه [1]».

فيه مسائل: (الأولى) وجوب الوفاء بالنذر. (الثانية) إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك. (الثالثة) أَن نذر المعصية لا يجوز الوفاءُ به.

= خصوصيات، ويرون انها مما يدفع البلاء، ويستجلب به النعماء، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء، حتى انهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند اليها عبد صالح، وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون: القبر الفلاني يقبل النذر. يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر ابراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فان الناذر لا يقصد بذلك إلا الإيقاد على القبر تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لاريب في بطلانه، والايقاد المذكور محرَّم سواء انتفع به منتفع أم لا. وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار: النذر الذي ينذره أكثر العوام على ماهو مشاهد، كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول: يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا وكذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه: منها أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة، والعبادة لا تكون لمخلوق. ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً. و منها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر -إلى أن قال- إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام بإجماع المسلمين، نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد: وقد ابتلى الناس بهذا لاسيما في مولد البدوي وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء: فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله تعالى فيكون باطلا. وفي التنزيل ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾[الأنعام: ١٢١]. ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شكريك له﴾ [الأنعام: ١٦٢] والنذر لغير الله إشراك مع الله كالذبح لغيره. انتهى.

(١) قوله: وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله =

١٣ ـ باب

مِنَ الشِّرْكِ الاستعاذةُ بغير الله(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿وأَنَّهُ كان رِجالٌ مِنَ ٱلإِنسِ يَعُوذُون برجالٍ مِنَ

= فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». قوله: «في الصحيح» أي صحيح البخاري. قوله: «عن عائشة» هي أم المؤمنين زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنه وأعلم النساء بحديث رسول الله ﷺ تزوجها النبي ﷺ وهي بنت سبع ودخل بها وهي ابنة تسع وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيها خلاف، بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل. والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الايمان بالنبي ﷺ وتأييده في تلك الحال التي بدىء بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة، لعلمها بأحوال النبي ﷺ ونزول القرآن وبيان الحلال والحرام، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون اليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن اصحابه وأزواجه، وتوفيت سنة سبع وخمسين رضي الله عنها. قوله: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» لأنه نذره لله خالصاً فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كإن شفى الله مريضى فعليَّ أن أتصدق بكذا ونحو ذلك، وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله، إلا أن أبا حنيفة قال: لا يلزمه الوفاء به. قوله: «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» زاد الطحاوي «وليكفر عن يمينه». وقد أجمع العلماء أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين؟ على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما تجب وهو المذهب، وروى عن ابن مسعود وابن عباس، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه.

(١) قوله: «باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى». الاستعاذة الالتجاء والاعتصام فالعائذ قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وما يقوم بالقلب من الالتجاء والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار اليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة. انتهى. وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وقال: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل: ٩٨]. وفي المعوّذتين وغير ذلك، فهي عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة.

الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً﴾ (١) [سورة الجن: ٦].

وعن خَوْلَةَ بنتِ حَكيم رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلا فقال: أَعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شرِّ ما خَلَق، لم يَضُرَّهُ شيء حتى يَرْحَلَ مِنْ مَنزِله ذٰلك». رواه مسلم (٢).

---

(١) قوله: وقول الله تعالى: ﴿وأنه كان رجال من الأنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾ وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره: هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي، فزادهم ذلك إثمًا. وقال بعضهم: فزاد الإنس والجن باستعاذتهم بعزيزهم جراءة عليهم، وازدادوا هم بذلك إثمًا. وقال مجاهد: فأزداد الكفار طغياناً. وقال ابن زيد: وزادهم الجن خوفاً. وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغير الله، وقال ملا علي قاري الحنفي رحمه الله: لا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية، وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال اولياؤ هم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ [الانعام: ١٢٨]. الآية. فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالانسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له. انتهى ملخصاً. قال المصنف رحمه الله تعالى: «وفيه أن كون الشيء تحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك».

(٢) قوله: وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك» رواه مسلم. خولة بنت حكيم بن أمية السلمية يقال لها أم شريك، ويقال إنها هي الواهبة، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون، قال ابن عبد البر: وكانت صالحة فاضلة. قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات» فشرع الله لأهل الاسلام أن يستعيذوا به لاكما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن، فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته. قال القرطبي رحمه الله تعالى: قيل معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر، وقيل معناه الكافية الشافية، وقيل الكلمات هنا هي القرآن. فان الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء، وهذا الامر على جهة الارشاد إلى ما يدفع به الاذى، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يصدُق الله في التجائه اليه، ويتوكل في ذلك عليه، ويحضر ذلك في قلبه. فمن فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه. قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: وقد نص الائمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة =

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية الجن. (الثانية) كونه من الشرك. (الثالثة) الاستدلال على ذلك بالحديث، لأَن العلماءَ استدلوا به على ان كلمات الله غير مخلوقة؛ قالوا لان الاستعاذة بالمخلوق شرك. (الرابعة) فضيلة هذا الدعاءِ مع اختصاره. (الخامسة) أَن كون الشيء تحصل به مصلحة دنيوية من كف شر أَو جلب نفع لا يدل على انه ليس من الشرك.



= بمخلوق، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق قالوا لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب اليه بما يحب فقد عبده، وان لم يسم ذلك عبادة، ويسميه استخداماً، وصدق، هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه، ولذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما هو يفعل به. قوله: «من شر ما خلق» قال ابن القيم: من شر كل ذي شر، في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسياً أو جنياً أو هامة أو دابة أو ريحاً أو صاعقة أي نوع كان من انواع البلاء في الدنيا والآخرة، و «ما» ههنا موصولة ليس إلا، وليس المراد بها العموم الاطلاقي، بل المراد التقييدي الوصفي. والمعنى: من شر كل مخلوق فيه شر، لا من شر كل ما خلقه الله، فان الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر. والشر يقال على شيئين: على الألم، وعلى ما يفضي اليه.

١٤ ـ باب

مِنَ الشَّركِ أَن يَستغيثَ بغيرِ اللهِ أَو يَدْعُوَ غيرَه[١]

وقولِ الله تعالى: ﴿ولا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مالا يَنْفَعُكَ ولا يَضُرُّكَ، فإنْ فَعلتَ فإنَّكَ إذاً من الظالمين[٢]، وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍ فلا كاشِفَ لهُ إلاَّ هُو﴾[يونس: ١٠٦ـ ١٠٧]. الآية[٣]. وقوله: ﴿فابْتَغُوا عندَ اللهِ الرِّزْقَ

---

(١) قوله: «باب من الشرك أن يستغيث بغير الله تعالى أو يدعو غيره» قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: الاستغاثة هي طلب الغوث وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون اهـ. قلت: فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق: يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث. وقد نهى تعالى عن دعاء الأخص والأعم في كتابه كما يأتي بيانه، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر.

(٢) قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فان فعلت فانك إذاً من الظالمين﴾ في هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونه تعالى، وأخبر تعالى أن غيره لا يضر ولا ينفع. قوله: ﴿فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين﴾ والظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالى عن لقمان ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

(٣) قوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾ هذا في حق المستغيث، أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئاً من فضل الله عليه، فهو المعطي والمانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس وفيه «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»، فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفر، وأنهم قد أثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في الإلهية، ونفوا ما اثبتته من الإخلاص كما قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾ [الزمر: ٣]. والدين هو طاعة الله فيما امر به وشرعه ونهى عنه وحرمه. وأعظم ما أمر به التوحيد والاخلاص، وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله، وأنزل به كتبه ﴿لئلا =

واعْبُدوه﴾ [العنكبوت : ١٧]. الآية. وقولِه ﴿ومَن أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَــنْ لا يَستَجيبُ له إلىٰ يَوْمِ القيامَة﴾ [الأحقاف : ٥] الآيتين [١] وقولِه﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاهُ وَيكْشِفُ السُّوء﴾ [٢] [النمل :

= يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ [النساء: ١٦٥]. وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته.

(١) قوله: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون. وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾، فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرر في الآية قبلها، فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقاً من طاغوت ووثن. فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران. ثم قال تعالى: ﴿وهم عن دعائهم غافلون﴾ كما قال في آية يونس ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم ـ إلى قوله ـ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم، ان كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ [يونس: ٢٩]. ثم قال: ﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده، فيتبرأ منه ومن عبادته، وينكر ذلك عليه أشد الانكار، وقد صار المدعو للداعي عدواً. ثم أخبر تعالى أن ذلك الدعاء عبادة بقوله: ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ فدلت ايضا على أن دعاء غير الله عبادة له، وأن الداعي له في غاية الضلال. وقد وقع من هذا الشرك في هذه الأمة ما عم وطم، حتى أظهر الله من يبينه بعد أن كان مجهولا عند الخاصة والعامة، إلا من شاء الله تعالى. وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان. لكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين لما دعوهم إلى توحيد الله. جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ [الذاريات: ٥٣]. ويشبه هذه الآية في المعنى ﴿ذلكم الله ربكم له الملك، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير. ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر: ١٤]. أخبر تعالى أن ذلك الدعاء شرك بالله، وأنه لا يغفره لمن لقيه به. فتدبر هذه الآيات وما في معناها كقوله: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن: ١٨]. ﴿قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً﴾ [الجن: ٢٠]. وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى.

(٢) قوله: ﴿أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض، أإله مع الله﴾ ؟ وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قال تعالى: ﴿فإذا ركبوا في الفلك =

٦٢]. وروى الطَّبَرانيُّ باسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ مُنافقٌ يؤْذِي المؤمنين فقال بعضهم: قوموا بنا نَسْتغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبيُّ ﷺ «إنَّه لا يُسْتَغاثُ بي، وإنَّما يُسْتَغاثُ بالله» (١).

فيه مسائل: (الأَول) أَن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص. (الثانية) تفسير قوله: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك

= دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾ [العنكبوت: ٦٥]. أخبر تعالى أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شدة. قال أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى: يقول تعالى: ﴿أإله مع الله﴾ يفعل هذه الاشياء بكم، وينعم عليكم؟ وقوله: ﴿قليلا ما تذكرون﴾ [النمل: ٦٢]. يقول تذكراً قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيراً، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

(١) قوله: وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين. فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنه لا يستغاث بي، وانما يستغاث بالله». الطبراني هو الامام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها، روى عن النسائي وإسحق بن إبراهيم الديري وخلق كثير، مات سنة ستين وثلاثمائة. روى هذا الحديث عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه. قوله «فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق» قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدر أن يغيثهم منه قلت: فلعله أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق، وفي السنة ما يدل على ذلك كما فعل مع ابن أُبَي وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق فيكون نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعا مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع، ولا يسمع ولا يستجيب، من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك، وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره، حتى انهم اشركوا مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه، كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها. والله أعلم.

ولا يضرك﴾ (الثالثة) أن هذا هو الشرك الأكبر. (الرابعة) أن أصلح الناس لو يفعله ارضاءً لغيره صار من الظالمين. (الخامسة) تفسير الآية التي بعدها. (السادسة) كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً. (السابعة) تفسير الآية الثالثة. (الثامنة) أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه. (التاسعة) تفسير الآية الرابعة. (العاشرة) أنه لا أضل ممن دعا غير الله. (الحادية عشرة) أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه. (الثانية عشرة) أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له. (الثالثة عشرة) تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو. (الرابعة عشرة) كفر المدعو بتلك العبادة. (الخامسة عشرة) أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس. (السادسة عشرة) تفسير الآية الخامسة. (السابعة عشرة) الامر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولا جل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين. (الثامنة عشرة) حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.



١٥ ـ باب

قولِ الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكونَ مالاَ يَخلُقُ شيئاً وهُم يُخلَقون. ولا يَسْتَطِيعون لهم نَصْراً﴾ [١] الآية [الاعراف: ١٩١]، وقولِه: ﴿والذِّينَ تَدْعُون مِنْ دُونه ما يَمْلكونَ من قِطْمير﴾ [فاطر: ١٣]. الآية [٢].

وفي الصحيح عن انس قال: شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرَتْ رَبَاعِيتُه فقال: «كيف يُفْلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيهم» فنزلت ﴿ليس لكَ من الأَمرِ شيءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. وفيه عن ابن عمر رضي الله عنه أَنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأَخيرة من الفجر «اللهَّم الْعَنْ فلانا وفلانا» بعد ما يقول «سَمِعَ الله لمن حَمِدَه ربَّنا ولك الحمد» فأَنزل الله : ﴿ليس لكَ من الامر شيءٌ﴾ الآية وفي رواية: يَدْعُو على صَفْوانَ بن أُمَيَّةَ وسُهَيْل بن عمرو

---

(١) قوله: باب قوله تعالى ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون﴾، وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة، لأنهم مخلوقون فلا يصح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده، وأخبر انهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة ﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾ فاذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأن لا ينصر غيره من باب الأولى فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين، وهو كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبوداً. الدليل الثاني أنه لاقدرة لهم على نفع أنفسهم، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم: فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم.

(٢) قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير. إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم. ولو سمعوا ما استجابوا لكم ـ إلى قوله ـ ولا ينبئك مثل خبير). ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله ﴿ذلكم الله ربكم له الملك﴾ يخبر الخبير أن الملك لله وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، ولهذا =

والحارث بن هشام، فنزلت ﴿ليس لك من الأَمر شيء﴾ (١). وفيه عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسُولُ الله ﷺ حين أُنزل عليه: ﴿وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فقال: «يا معشرَ قريش

= قال ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ فان من كانت هذه صفته لا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدس، بل يجب اخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة. أخبر الله تعالى بأن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم، أي ينكرونه ويتبرأون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران: ٥]، وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به، وأنه لا يغفره لمن لقيه به. فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع، بل قالوا إن الميت يسمع، ومع سماعه ينفع. فتركوا الاسلام والايمان راساً كما ترى عليه الأكثرين من جهلة هذه الأمة.

(١) قوله: في الصحيح عن انس قال: شُج النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيتهُ فقال «كيف يفلح قوم شجوا نبيهم»؟ فنزلت ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ الآية. وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر «اللهم اللعن فلاناً وفلاناً» بعدما يقول «سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام، فنزلت آية ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾، وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم. قوله «في الصحيح» أي الصحيحين، علقه البخاري عن حميد عن ثابت عن أنس، ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن أنس، وقد قال تعالى ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقال تعالى ﴿ألاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾]الأعراف: ٥٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة. والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئاً من العبادة، ولهذا المعنى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿إنك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين﴾ [القصص: ٥٦] فالذي ليس له من الأمر شيء وهو خيرة الله من خلقه مازال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى، فهذا دينه صلى الله عليه وسلم الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم اليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله. فإياك أن تتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به.

أَو كلمة نحوَها ـ اشْتَرُوا أَنفُسَكم [١] . لا أُغْنى عنكم منَ اللهِ شيئاً [٢] . يا عباسُ بنَ عبد المطَّلِب لا أُغْنى عنكَ من الله شيئاً ، يا صَفيةُ عمةَ رسولِ

---

(١) قوله : وفيه عن ابي هريرة قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قال : « يا معشر قريش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتروا انفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً . يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً . ويا فاطمة بنت محمد ، سليني من مالي ما شئت ، لا أغنى عنك من الله شيئاً » . قوله « فيه » أي في صحيح البخاري ، واختلف في اسم أبي هريرة وصحح النووى أن اسمه عبد الرحمن بن صخر ، وهو دوسى من حفاظ الصحابة ، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره ، كما في صحيح البخارى عن وهب بن منبه عن أخيه سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب . مات سنة سبع ـ أو ثمان أو تسع ـ وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين والمسند والسنن وغيرها . قوله : قال « يا معشر قريش » أو كلمة نحوها « اشتروا أنفسكم » أي بالإيمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاءكم به مما أنزل عليه من توحيد الله في العبادة وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام ، فانهم بعد ذلك الشرك صاروا عبيدا لمن يضر ولا ينفع ، ولا يستجيب ولا يسمع إلا هو ، وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله ، فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا لمالكه ، وقد قال تعالى ﴿ ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون . بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين ﴾[الروم : ٢٨ ـ ٢٩] .

(٢) قوله « لا أغنى عنكم من الله شيئاً » هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعمله بهم ، والعبد لا يعلم إلا ما علمه الله ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة لله وحده ، والبراءة من عباده ماسواه كما قال تعالى ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢] . والنبي ﷺ في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة ، وأخبر أنه لا يغنى عنهم من الله شيئاً ، وبلغهم ، وأعذر اليهم ، فأنذر قريشا ببطونها ، وقبائل العرب في مواسمها ، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس اليه ، وأخبر أنه لا يغنى عنهم من الله شيئاً إذا لم يؤ منوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به

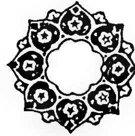
الله ﷺ لا أُغْنى عنكِ من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمد، سليني من مالي ما شئتِ لا أغْني عنكِ من الله شيئاً (١)»

فيه مسائل: (الأُولى) تفسير الآيتين. (الثانية) قصة أُحد. (الثالثة) قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأَولياءِ يؤمنون في الصلاة. (الرابعة) أَن المدعو عليهم كفار. (الخامسة) أَنهم فعلوا أَشياءَ ما فعلها غالب الكفار، منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله. ومنها التمثيل بالقتلى مع انهم بنو عمهم. (السادسة) أَنزل الله عليه في ذلك ﴿ليس لك من الأَمر شيء﴾ [آل عمران: ١٢٨]. (السابعة) قوله: ﴿أو يتوب عليهم أَو يعذبهم﴾ [آل عمران: ١٢٨]. فتاب عليهم فآمنوا. (الثامنة) القنوت في النوازل. (التاسعة) تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأَسمائهم وأَسماء آبائهم. (العاشرة) لعنة المعيَّن في القنوت. (الحادية عشرة) قصته ﷺ لما نزل عليه ﴿ وأَنذر عشيرتك الاقربين﴾ [الشعراء:

---

(١) قوله «سليني من مالي ماشئت» لأن هذا هو الذي يقدر عليه ﷺ وما كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث. ولما مات أبو طالب وكان يحوط رسول الله ﷺ ويحميه ـ ولم ينكر ملة عبد المطلب من الشرك بالله وقال ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله. فلم تنفعه حمايته النبي ﷺ من أن يكون من المشركين، ولا الاعتراف بأن النبي ﷺ على حق بدون البراءة من الشرك، لانه لم يبرأ من ملة أبيه، فكل تعليق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالا في الدنيا والآخرة، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة كما قال تعالى ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ [الأنعام: ٥١] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكذلك الأحاديث. والله أعلم. وسيأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى.

٢١٤]. (الثانية عشرة) جده ﷺ في هذا الامر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن. (الثانية عشرة) قوله للأبعد والأقرب «لا أُغنى عنك من الله شيئاً» فاذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغني من الله شيئاً عن سيدة نساءِ العالمين، وآمن الانسان أنه لا يقول الا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن، تبين له التوحيد وغربة الدين.



١٦ -باب

قولِ الله تعالى: ﴿حتى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم قالوا ماذا قال ربُّكم؟ قالوا الحقَّ وهو العليُّ الكبير﴾ (١) [سبأ: ٢٣].

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى ﴿ حتى إذا فزّع عن قلوبهم ﴾ أي زال عنها الفزع، قاله ابن عباس وغيره، ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ وقال ابن جرير قال بعضهم؛ الذين فزع عن قلوبهم الملائكة، قالوا وانما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي. قال ابن كثير: وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى به سمعت كجر السلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة، قال: وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار اليهم من أول قوله ﴿ الذين زعمتم ﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.

وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة: (الأول) أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله، والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات والأرض لا ينفع ولا يضر، فالله تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده. (الثاني) قوله ﴿ومالهم فيهما من شرك﴾ [سبأ: ٢٢] أي في السموات والأرض، أي مالهم شرك مثقال ذرة في السموات والأرض. (الثالث) قوله ﴿وماله منهم من ظهير﴾ [سبأ: ٢٢] والظهير المعين، فليس لله معين من خلقه، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم لكمال غناه عنهم، وضرورتهم إلى ربهم فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم. (الرابع) قوله ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾[سبأ: ٢٣] فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه. وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعاً من دونه حرم من شفاعة الشفعاء، قال تعالى ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأر ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون﴾[يونس: ١٨[لآ ×؛؛٤ء +؛ءً شرك لقوله تعالى في حقهم ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر: ٤٨] وقال ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم ومانرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ [الانعام: ٩٤] وذلك أن متخذ =

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اذا قضى اللهُ الامرَ في السماء ضَرَبَتِ الملائكةُ بأَجْنِحَتِها خَضعاناً لقولِه، كأَنَّه سِلسلةٌ على صَفْوان يَنْفُذُهم ذٰلك ﴿حتَّى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم قالوا: ماذا قال ربُّكم؟ قالوا: الحقَّ، وهو العليُّ الكبير﴾ فيسمعُها مُسْتَرِقُ السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضُه فوقَ بعض ـ وصفه سفيان بكَفِّه فحرفها وبَدَّدَ بين أَصابعه ـ فيسمعُ الكلمةَ فيُلْقيها الى مَن تَحتَه، ثم يلْقيها الآخر إلى مَن تحتَه، حتى يُلْقيهَا، على لسان الساحر أَو الكاهن، فربَّما أَدركه الشَّهابُ قبل أَن يُلْقيهَا وربما أَلقاها قبلَ أَن يُدرِكه فيكذِبُ معها مائةَ كذْبه فيقال: أَليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدَّقُ بتلك الكلمة سُمِعَتْ من السماء [١]».

الشفيع لا بد أن يرغب اليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمله منه وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله، وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص.

(١) قوله: في الصحيح عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير(فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ وصفه سفيان بكفه محرفها وبدد بين اصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الكاهن أو الساحرفربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما القاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائه كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»قوله: «في الصحيح» أي صحيح البخاري، ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذل له تعظيما ومهابة وخوفاً، لا سيما عند سماع كلامه تعالى، لأن قوله «إذا قضي الله الأمر» أي بكلامه ووحيه إلى جبريل. وقوله ««في السماء» يدل على العلو، ففيه إثبات كلام الله وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً لا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والأشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن ألحد بالتعطيل في =

وعن النَّوَّاس بن سِمعانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اذا أَراد اللهُ تعالى أَن يوحيَ بالامر تكلَّمَ بالوحي أَخذَتِ السمواتِ منه رَجْفَةٌ أَو قال رَعْدَةٌ ـ شديدة، خوفا من الله عز وجل، فاذا سمع ذلك اهلُ السمواتِ صَعقُوا وخَرُّوا لله سُجَّداً، فيكونُ أَولَ من يرفع رأْسَه جبريلُ، فيُكلِّمه اللهُ من وَحْيه بما أَراد، ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مرَّ بسماءٍ سأَله ملائكتُها: ماذا قال ربُّنا يا جبريلُ؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثل ما قال جبريلُ. فينتهي جبريل بالوحي الى حيثُ أَمَرَهُ اللهُ عز وجل [(١)]».

= أسماء الله وصفاته. قوله «خضعاناً» مصدر خضع قوله «لقوله» صريح في أنهم سمعوا قوله وأنه بصوت وأن ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم. قوله: ﴿حتى إذا فزّع عن قلوبهم﴾ أي زال عنها الفزع. قوله «فيسمعها مسترق السمع» أي الكلمة التي سمعها الملائكة وتحدثوا بها. قوله «ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان» رواى الحديث وهو ابن عيينة ـ بكفه. قوله «فيسمع الكلمة» يعني مسترق السمع «فيلقيها إلى من تحته» من الشياطين، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن» الحديث قوله «فيكذب معها» أي الساحر أو الكاهن «مائه كذبة» فيصدق بتلك الكلمة التي سمعتمن السماء» لقبول الناس للباطل.

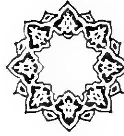
(١) قوله: وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إذا لْاراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل، فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل» رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النواس بن سمعان ـ بكسر السين ـ ابن خالد الكلابي ويقال الأنصاري، صحابي ويقال إن أباه صحابي أيضاً. قوله: «إذا أراد الله تعالى» فالارادة صفة من صفات الله عز وجل، وهي نوعان: شرعية وقدرية، كما قال تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ [الاسراء: =

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآية. (الثانية) ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب. (الثالثة) تفسير قوله: ﴿قالوا الحق، وهو العلي الكبير﴾. (الرابعة) سبب سؤالهم عن ذلك (الخامسة) أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله: قال كذا وكذا. (السادسة) ذكر أن اول من يرفع رأسه جبريل. (السابعة) أنه يقول لأهل السموات كلهم. لأنهم يسألونه (الثامنة) أن الغشي يعم اهل السموات كلهم (التاسعة) ارتجاف السموات لكلام الله. (العاشرة) أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث أمره الله. (الحادية عشرة) ذكر استراق الشياطين. (الثانية عشرة) صفة ركوب بعضهم بعضاً (الثالثة عشرة) كون الكاهن يصدق بعض الاحيان. (الرابعة عشرة) كونه يكذب معها مائة

= ١٦] الآية وقال: ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ وقال: ﴿انما أمره أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ [يس: ٨٢]. ونحو هذه الآيات. قوله «أن يوحي بالأمر» فيه بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله «إذا قضى الله الأمر». قوله: «تكلم بالوحي» فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم ان القرآن عبارة عن كلام الله. قوله: «أخذت السموات منه رجفة ـ أو قال رعدة ـ شديدة خوفاً من الله عز وجل» في هذا معرفة عظمة الله ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى، وفيه إثبات العلو. قوله: فاذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرّوا لله سجداً» هيبة وتعظيما لربهم، وخشية لما سمعوا من كلامه تعالى وتقدس. قوله: «فيكون اول من يرفع رأسه جبريل» لانه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من امره كما تقدم في أول الحديث، قوله «ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها» وهذا أيضاً من أدلة علو الرب تعالى وتقدس. قوله «ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل» وهذا دليل بأنه تعالى قال ويقول، وأهل البدع من الجهمية ومن تلقى عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته الله تعالى في كتابه وأثبته رسوله ﷺ في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك

كذبة. (الخامسة عشرة) أَنه لم يصدق إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء. (السادسة عشرة) قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة! (السابعة عشرة) كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها. (الثامنة عشرة) إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة (التاسعة عشرة) التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من الله عز وجل. (العشرون) أَنهم يخرّون لله سجداً.

= من صفات كماله التي أثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال الله وعظمته.



١٧ ـ باب

الشفاعــة(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿وأَنْذِرْ به الذين يَخافُونَ أَنْ يُحشَروا إلى ربِّهم ليس لهم مِن دُونه وليٌّ ولا شَفِيع﴾(٢) [الأنعام: ٥١]. وقوله: ﴿قُلْ لِله

(١) قوله: «باب الشفاعة» الشفاعة نوعان: شفاعة منفيه في القران، وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالى: ﴿من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولا شفاعة﴾ وقال: فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وقال: ﴿واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤ خذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ونحو هذه الآيات كقوله ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤ نا عند الله. قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك، وما لا يعلمه لا وجود له، فنفى وقوع هذه الشفاعة، وأخبر أنها شرك بقوله: ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ وقال تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾إلى قوله ﴿إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار﴾ فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعاً يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته، لأنه جعل الله شريكاً يرغب اليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحل الله تعالى أو أعظم. النوع الثاني: الشفاعة التي اثبتها القرآن، وهي خالصة لأهل الإخلاص وقيدها تعالى بأمرين (الأول) إذنه للشافع أن يشفع، كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾وإذنه تعالى لا يصدل إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب، فاذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له. (الأمر الثاني)رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾فالإدن بالشفاعة له بعد الرضا كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

(٢) قوله: وقول الله تعالى ﴿وأنذربه الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾ الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة والتحذير منها. قوله (به) إلقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشوا إلى ربهم﴾ وهم إهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده، ولم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضره، قال الفضيل بن عياض: ليس كل حلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون. قوله: ﴿ليس لهم من دونه ولي لاو شفيع﴾ قال الزجاج: موضع ليس نصب على الحال كأنه قال = متخلين من ولي وشفيع، والعامل فيه يخافون. قوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أي فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب يوم

الشفاعةُ جميعاً﴾ (١) [الزمر: ٤٤]. وقوله: ﴿مَنْ ذا الذي يَشْفَعُ عندَهُ إلاَّ بإذنه﴾ (٢) [البقرة: ٢٥٥]. وقوله: ﴿وكَم مِنْ مَلَكٍ في السمٰواتِ لا تُغْنى شَفاعتُهم شيئاً إلاَّ مِنْ بعدِ أَنْ يَأْذَنَ الله لمَنْ يَشاءُ ويَرضىٰ﴾ (٣)

= القيامة، وتركوا التعلق على الشفعاء، وغيرهم لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملا بدونه.

(١) قوله: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه، لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في الآية السابقة، وقال تعالى ﴿يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم﴾ الآية [يونس: ٣] فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه ولا تقع إلا ممن أذن له فيها. فتدبر هذه الآيات العظيمة في إتخاذ الشفعاء. وقوله: ﴿له ملك السموات والارض﴾ [الحديد: ٢، ٥] يبطل التعليق على غيره سبحانه لانه الذي انفرد بملك كل شيء فليس لأحد في مللكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده، والإسلام هو أن تسلم قلبك وجوارحك لله بالاخلاص، كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله ﷺ: فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال «الإسلام» قال: وما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة». والآيات في بيان الإخلاص كثيرة، وهو أن لا يلتفت القلب ولا الوجه في جميع الأعمال كلها إلا لله وحده كما قال تعالى ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل. قال شيخ الاسلام: الاخلاص محبة الله، وإرادة وجهه

(٢) قوله: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ تقدم معنى هذه الآية.

(٣) قوله: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾ فاذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين ايديهم وماخلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون. ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٩] فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره، وقيد حصولها بقيدين كما في هده الآيةوغيرها كماتقدم قريباً إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾

[النجم: ٢٦]. وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الذين زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَمْلِكون مِثْقالَ ذَرَّةٍ في السموٰات ولا في الأَرض﴾ الآيتين[١] [سبأ: ٢٢ - ٢٣].

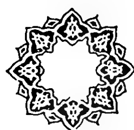
قال أَبو العباس: نفىٰ اللهُ عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون فنفىٰ أَن يكون لغيره مِلْكٌ أَو قِسطٌ منه، أَو يكون عوناً لله، ولم يبق إلَّا الشفاعة فبين أَنها لا تنفع إلا لمن أَذن له الربّ كما قال: ﴿ولا يَشْفَعون إلَّا لِمَنِ ارتضىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأَخبر النبيُّ ﷺ أَنه «يأْتي فيسجدُ لربه ويحمدُه - لا يبدأ بالشفاعة أَولاً - ثم يقال له: ارفع رأْسَك، وقل يُسْمَع، وسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تُشَفَّع». وقال له أَبو هريرة: مَن أَسعد الناس

= ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين، فاختصت الشفاعة بأهل الاخلاص خاصة، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات.

(١) قوله ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ الآيتين. قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾. فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه، ويحمده؛ لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال له « ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع » وقال له ابو هريرة رضى الله عنه: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للادلة.

بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأَهل الإِخلاص باذن الله، ولا تكونُ لمن أَشركَ بالله. وحقيقتُه أَن اللهَ سبحانه هو الذي يتفضل على أَهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أَن يشْفع ليُكرِمه ويَنال المقامَ المحمود. فالشفاعةُ التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا اثبت الشفاعة بإذنه في مَواضع، وقد بيَّن النبي ﷺ أَنها لا تكون إلا لأَهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه.

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآيات. (الثانية) صفة الشفاعة المنفية. (الثالثة) صفة الشفاعة المثبتة. (الرابعة) ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود. (الخامسة) صفة ما يفعله ﷺ، وانه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد، فاذا أَذن الله له شفع. (السادسة) من أَسعد الناس بها. (السابعة) أَنها لا تكون لمن أَشرك بالله. (الثامنة) بيان حقيقتها.



١٨ ـ بـاب

قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] الآية[١]

في الصحيح عن ابن المسيَّب عن أبيه قال: لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله ﷺ، وعنده عبدُ الله بن أَبي أُميَّة وأَبو جهل، فقال له: «يا عمِّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أُحاجُّ لكَ بها عند الله». فقالا له: أَترغبُ عن ملَّة عبد المطَّلب، وأَبى أَن يقول لا إلهِ إلا الله، قال النبيُ ﷺ «لاسنغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك» فأَنزل الله عز وجل ﴿ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أَن يَسْتغفِرُوا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣]. وأَنزل في أَبي طالب ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحببتَ ولكنَّ الله يَهْدي من يَشاء﴾[٢].

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى: يقول تعالى لرسوله ﷺ: إنك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، كما قال تعالى ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٢] وقال: ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف: ١٠٣] قلت: والمنفى ههنا هداية التوفيق والقبول، فان أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه. وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ [الثورى: ٥٢] فانها هداية الدلالة والبيان فهو المبين عن الله والدال على دينه وشرعه.

(٢) قوله: في الصحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له «يا عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج =

لك بها عند الله » . فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه رسول الله ﷺ فأعادا، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ » لأستغفرن لك مالم أنه عنك » فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذي آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية ، وأنزل في أبي طالب ﴿ إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾
قوله » في الصحيح » أي الصحيحين . وابن المسيب هو سعيد بن السيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمراد بن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من التابعين ، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل ، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماء منه، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضى الله عنه ، وكذلك جده حزن صحابي واستشهد باليمامة، قوله « لما حضرتْ أبا طالب الوفاة » أي علاماتها ومقدماتها . قوله « جاءه رسول الله ﷺ » يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الأثنين فانهما من بني مخزوم وهو ايضاً مخزومي ، وكان الثلاثة إذ ذاك كفاراً ، فقتل أبو جهل على كفره وأسلم الآخران . قوله « يا عم ، قل لا إله إلا الله » أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله واخلاص العبادة له وحده ، فإن من قالها عن علم ويقين وقبول فقد أنكر الشريك وتبرأ منه ، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه، ولهذا عارضوا قول النبي ﷺ بقولهم : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ لأن ملة عبد المطلب الشرك بعبادة الأوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك. قوله « كلمة » قال القلاطبي بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله ، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف. قوله « أحاجّ لك بها عند الله »، لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها في الاسلام . قوله « فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب » ؟ ذكراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين، كقول فرعون لموسى ﴿ فما بال القرون الأولى ﴾ [طه : ٥١] وكقوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ [الزخرف : ٢٣] . قوله « فأعاد عليه النبي ﷺ فأعادا »فيه مضرة أصحاب السوء والحذر من قربهم والاستماع لهم ، ففيه معنى قول الناظم :

إذا ماصحبت القوم فاصحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

قوله « فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله » قال الحافظ هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب . قال المصنف رحمه الله تعالى : وفيه الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه . قوله « فقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » اللام لام القسم . وقال النووي : فيه جواز الحلف من غير استحلاف. قال ابن فارس : مات أبو طالب ولرسول الله ﷺ تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفيت خديجة =

فيه مسائل : (الأولى) تفسير قوله : ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ . (الثانية) تفسير قوله : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾(الثالثة) وهي المسألة الكبرى تفسير قوله ﴿قل لا إله إلا الله﴾ ، بخلاف ما عليه من يدعي العلم . (الرابعة) أن أنا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للاجل ﴿قل لا إله إلا الله﴾ ، فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام . (الخامسة) جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه . (السادسة) الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه . (السابعة) كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهى عن ذلك . (الثامنة) مضرة أصحاب السوء على الإنسان . (التاسعة) مضرة تعظيم الاسلاف والأكابر! (العاشرة) الشبه للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك . (الحادية عشرة) الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته (الثانية عشرة) التأمل في كبر هذه الشبه في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلواهاإلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها .

= أم المؤمنين رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام . قوله ؛ : فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة : ١١٣] والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، فان الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله « فأنزل الله » بعد قوله « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » يفيد ذلك وقد ذكر العلماء لسبب نزول هذه الآية أسباباً أخر فلا منافاة ، الآية الواحدة قد يتعدد نزولها . وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم .

١٩ ـ باب

ما جاءَ أَنَّ سببَ كُفر بني آدمَ وتركِهمْ دينَهم هو الغُلوُّ في الصالحين[١]

وقولِ الله عز وجل ﴿يا أَهلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دِنِكم﴾ [النساء. ١٧١، المائدة: ٧٧]. [٢]

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً﴾ [نوح: ٢٣]. قال: هٰذه اسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوم نُوح، فلما هلكوا أَوحٰى الشيطانُ الى قومهم أَنِ انْصِبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلِسون فيها أَ وسمُّوها بأَسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبَدْ. حتى اذا هَلكَ أُولئك ونُسِيَ العلمُ، عُبِدَتْ.

---

(١) قوله « باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ». قد انذر ﷺ أمته من الغلو، وأبلغ في الانذار تحذيراً عما وقع من جهلة هذه الأمة كما سيأتي ذكره.

(٢) قوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الآية. الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله. والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم ﷺ كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه واليهود مع العزير، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذه الأمة نظماً ونثراً كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ. فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي ﷺ: أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا. فكره ذلك ﷺ أشد الكراهة؟ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى، وقول القائل ما شاء الله وشئت فقال «أجعلتني لله نداً؟ بل ما شاء الله وحده». قال شيخ الاسلام: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم. قال: وعلي رضي الله عنه =

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوَّرُوا تماثيلَهم، ثم طال عليهم الأَمدُ فعَبَدُوهم [(١)]

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال «لا تُطْرُوني كما أَطَرت النصاري ابنَ

= حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها، واتفق الصحابة على قتلهم، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء.

(١) قوله «في الصحيح عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿وقالوا لا تَذرنَّ آلهتكم ولا تذرن وَدّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ قال: هده أسماء رجال صالحين من نوح، فلما هلك هؤلاء أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت. قوله «في الصحيح» أي صحيح البخاري. وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله. والذي في البخاري عن ابن عباس صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد. أماود فكانت لكلب بدومة الجندل. وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين في قوم نوح ـ الخ. قوله «أن انصبوا» بكسر المهملة، قوله «أنصابا» جمع نصب وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين. قوله «ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت» الذي في البخاري «ونسخ العلم» فلعل الذي هنا رواية فصارت هذه الأصنام بهذا التصوير على صور صالحين سلماً إلى عبادتها. وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على البصائر. كما جرى لأهل مصر وغيرهم. فان أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فصل ولا عبادة. ومع هذا فصار أعظم آلهتهم. مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل. ذكره السخاوي عن أبي حيان. فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ويطفئ الحريق وينجي الغريق وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب. وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة. وفيهم من يسجد على عتبة حضرته. وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني كما يعتقد أهل مصر في البدوي. وعبد القادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية. وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد. لكن فيه زهد وعبادة. وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت. وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات. وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين. وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به. وأعظم من =

مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله» أخرجاه [١].

وقال: قال رسول الله ﷺ «إيّاكُم والغُلوَّ، فإنهّا أَهلك من كان قبلكم الغلوُّ»[٢]. ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أَن رسول الله ﷺ قال: «هَلَكَ المتنطَّعون» قالها ثلاثاً[٣].

= هذا عبادة أهل الشام لابن عربي وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض. واكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها. وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم، والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان. وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام «لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك» حتى كان عمرو بن لحى الخزاعي، فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ: إلا شريكا هو لك فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ: تملكه وما ملك. فانه لا بأس. بهذا. فقالها عمرو، فدانت بها العرب.

(١) وعن عمرأن رسول الله ﷺ «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجاه. قوله «عن عمر» هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغر العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه، ولي الخلافة عشرة سنين ونصفاً فامتلأت الدنيا عدلا، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. قوله «لا تطروني» الاطراء هو الغلو «كما أطرت النصارى ابن مريم» كما قال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ قوله: «إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله» أمرهم ﷺ أن لا يتجاوزوا هذا القول وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة.

(٢) قوله: قال قال رسول الله ﷺ «إياكم والغلو، فانما أهلك من كان قبلكم الغلو». هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى بدون ذكر روايه، وقد رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس، وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس. قال شيخ الاسلام: هذا عام في جميع انواع الغلو في الاعتقادات والأعمال.

(٣) قوله: ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هلك المتنطعون»=

فيه مسائل: (الأولى) أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب. (الثانية) معرفة أول شرك حدث على وجه الإرض أنه بشبهة الصالحين. (الثالثة) أول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب دلك مع معرفة أن الله أرسلهم. (الرابعة) قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها. (الخامسة) أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل: فالأول محبة الصالحين، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به فيره. (السادسة) تفسير الآية التي في سورة نوح. (السابعة) جبلة الآدمى في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد. (الثامنة) أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر. (التاسعة) معرفة الشيطان بما تؤول اليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل. (العاشرة) معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول اليه. (الحادية عشرة) مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح. (الثالثة عشر) معرفة النهي عن التماثيل في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم

= قالها ثلاثا. قال الخطابي: المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم. وقال ابو السعادات هم المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم. وقال النووي: فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الاعراب في مخاطبة العوام وغيرهم. قوله: «قالها ثلاثا» أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ، فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل إلى الشرك بالله.

وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات واعتقوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال، (الخامسة عشرة) التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة. (السادسة عشرة) البيان العظيم في قوله: «لا تطروني»الخ فصلوات الله وسلامه عليه بلغ البلاغ المبين

الثامنة عشرة) نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين. (التاسعة عشر) التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده (العشرون) أن سبب فقد العلم موت العلماء.



٢٠ - باب

ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ اللهَ عند قبرِ رجل صالح فكيف إذا عَبَدَه![(١)]

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأَتها بأرض الحَبَشَةِ وما فيها من الصُّور فقال «أُولٰئِكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح - أَو العبد الصالح - بَنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصُّور، أُولٰئك شِرارُ الخَلق عندَ الله» فهؤلاء جمعوا بين الفِتنتين فتنةِ القبور وفتنةِ التماثيل [(٢)].

---

(١) قوله: «باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده» فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام أم لكونه يوقع في الشرك بالله وعبادة ما سواه كما في الأحاديث.

(٢) قوله: «في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن سلمة رضي الله عنها ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور - الحديث» قوله: «في الصحيح» أي الصحيحين، قوله: «ان أم سلمة» هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية، تزوجها النبي ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع - وقيل ثلاث - وكانت قد هاجرت مع ابي سلمة إلى الحبشة، توفيت سنة اثنتين وستين. قوله: «ذكرت لرسول الله ﷺ» وفي الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا لرسول الله ﷺ. والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون: متعبد النصارى. قوله: «رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور» لأن أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة. قوله: «فقال أولئك» بكسر الكاف خطاب المرأة. قوله: إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح» هذا - والله أعلم - شك من الراوي. قوله: «أولئك شرار الخلق عند الله ولم يذكر غير بناء المساجد والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته، فبذلك صاروا شرار الخلق. فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك والوقوع فيه مما هو اعظم من هذا كالبناء على القبور وتعظيمها وعبادتها، ومع ذلك يعتقدونه ديناً وهو الشرك الذي حرمه الله، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه. قوله: «فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين: فتنة القبور=

ولهما عنها قالت: لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصة له على وجهه فاذا اغْتَمَّ بها كشَفَها، فقال وهو كذلك «لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قبورَ أَنبيائهم مَسَاجِدَ» يُحَذِّرُ ما صنعوا ولولا ذٰلك أُبرِزَ قبرهُ، غيرَ أنه خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مسجدا. أَخرجاه (١).

ولمسلم عن جُنْدَب بن عبد الله قال: سمعتُ النبي ﷺ قبلَ أَن يموتَ بخمسٍ وهو يقول: إنّي أَبرَأُ الى الله أَن يكونَ لي منكم خليلٌ، فانّ الله قد

= وفتنة التماثيل» هذا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب.

الخميصة: كساء له أعلام. والشاهد للترجمة قوله: ﷺ «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فلعنهم ﷺ. على تحري الصلاة عندها، وإن كان المصلي إنما يصلي لله، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون، لأنه ذريعة إلى عبادتها، فكيف إذا عبد أهل القبور الغائبين بأنواع العبادة وسألهم مالا قدرة لهم عليه؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة اليها. واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم. قوله: «ولولا ذلك»، أي ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي ﷺ مسجداً لابرز قبره مع قبور اصحابه بالبقيع. قوله: «غير انه خشي أن يتخذ مسجداً». روى بفتح الخاء وضمها، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ﷺ وامرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه. وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيما لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله. قال القرطبي: ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ فأعلوا حيطان تربته، وسدوا المداخل اليها، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ، خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة. فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره اهـ. قلت: فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد».

اتَّخَذَني خليلا كما اتخذَ إبراهيمَ خليلا، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتي خليلا لاتخذت أبا بكرٍ خَليلا، ألا وإنَّ مَن كانَ قبلكم كانوا يتَّخِذون قبورَ أنبيائِهم مساجدَ، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجدَ، فانّي أنهاكُمْ عن ذٰلك»[١].

فقد نهىٰ عنه في آخر حياته ثمَّ إنه لَعَن - وهو في السِّياق - مَن فَعَلَه. والصلاةُ عندهَا من ذٰلك، وان لم يُبْنَ مَسجدٌ، وهو مَعْنى قولِها خُشِي أَنْ يتَّخِذَ مَسْجِداً فإن الصَّحابَةَ لَمْ يَكونوا ليَبْنُوا حولَ قبره مسجدا، وكل مَوْضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيه فقدا اتُّخِذَ مسجدا، بل كلُّ موضع يُصلىَّ فيه يُسمىَّ مسجدا، كما قال ﷺ «جُعِلَتْ ليَ الارض مَسجدا وطَهُورا»[٢].

ولأحمدَ بسند جيّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا «إنَّ مِن شِرارِ الناسِ مَن تُدْرِكُهُم الساعةُ وهم أحياء، والذين يَتَّخِذونَ القبورَ

---

(١) قوله: «ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ - قبل أن يموت بخمس - وهو يقول: إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليك. فان الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً. ولو كنت متخذاً من أمتي خليل لا تخذت أبا بكر خليلا. ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فاني أنهاكم عن ذلك». قوله: «عن جندب بن عبد الله» أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى جده، صحابي مشهور مات بعد الستين، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: أما بناء المساجد على القبور فقد صرح مالك والشافعي بتحريمه. قال: ولا ريب في القطع بتحريمه. ثم ذكر الأحاديث في ذلك إلى أن قال: وهذه المساجد المبنية على قبور الانبياء والصالحين والملوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين.

(٢) قوله: «فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد، وهو معنى قولها خشى ان يتخذ مسجداً، فان الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما قال ﷺ: جعلت لي الارض مسجدا وطهوراً» هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الاسلام ابن تيمة رحمها الله تعالى على هذه الأحاديث.

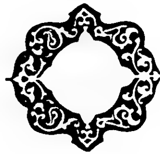
مَساجدَ». ورواه أبو حاتم في صحيحه (١).

فيه مسائل: (الأولى) ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل. (الثانية) النهي عن التماثيل وغلظ الامر في ذلك. (الثالثة) العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا اولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان النزع لم يكتف بما تقدم. (الرابعة) نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر. (الخامسة) انه من سنن اليهود والنصارى في قبور انبيائهم. (السادسة) لعنه اياهم على ذلك. (السابعة) أن مراده ﷺ تحذيره ايانا عن قبره، (الثامنة) العلة في عدم ابراز قبره. (التاسعة) في معنى اتخاذه مسجدا. (العاشرة) أنه قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة الى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته (الحادية عشرة)

---

(١) قوله: «ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعاً: ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد، ورواه ابن حاتم في صحيحه قلت: وقد وقع هذا في الأمة كثيراً كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ كما لا يخفى على ذوي البصائر، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور: منها انهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله، وينسون الله. ومنها أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله، وجمعوا بين نوعي الشرك في الالهية والربوبية. وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله: أن عبد القادر الجيلاني يسمع من دعاه. ومع سماعه ينفع. فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت. فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم، ولا ينبئك مثل خبير﴾ [فاطر: ١٤] فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه، بل بالغوا وعاندوا في رده، وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول. فالله المستعان.

ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد. (الثانية عشرة) ما بلى به ﷺ من شدة النزع. (الثالثة عشرة) ما اكرم به من الخلة. (الرابعة عشرة) التصريح بانها أعلى من المحبة. (الخامسة عشرة) التصريح بان الصديق افضل الصحابة. (السادسة عشرة) الاشارة الى خلافته.



٢١ - باب

ما جاءَ أَن الغُلُوَّ في قبور الصالحين يصيّرها أَوثانا تُعبَدُ من دُون الله

رَوى مالك في المُوَطَّإ: أَن رسول الله ﷺ قال: «اللهُمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَد، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخَذُوا قبورَ أَنبيائِهم مَساجد» (١).

ولابن جرير بسنده عن سُفْيان عن منصور عن مُجاهد ﴿افرَأَيْتُمُ اللات والعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]. قال كان يَلُتُّ لهم السَّويقَ، فمات، فعكَفوا على قبره. وكذا قال أَبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلُتُّ السويقَ للحاجّ (٢).

---

(١) قوله: «باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله. روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وذلك أنه ﷺ خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله. وسبب ذلك الغلو فيهم كما قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا أهواء قوم ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧] وكذلك رغب ﷺ إلى ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها «ولولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً» وقد استجاب الله دعوة نبيه ﷺ وصان قبره وأحاطه بثلاث جدران كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

فأجاب رب العالمين دعاءه   واحاطه بثلاثة الجدران

(٢) قوله: «ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أفرأيتم اللات والعزى﴾ قال كان يلتّ لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال ابو الجوزاء عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج». ابن جرير هو أبو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير، وهو اجلّ التفاسير وأحسنها، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين، وله كتاب الاحكام رحمه الله تعالى. =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائرات القبورِ والمتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرُج. رواه أَهلُ السُّنَن (١).

فيه مسائل (الاولى) تفسير الأَوثان. (الثانية) تفسير العبادة (الثالثة) أَنه ﷺ لم يستعذ الا مما يخاف وقوعه. (الرابعة) قرنه بهذا اتخاذ قبور الانبياء مساجد. (الخامسة) ذكر شدة الغضب من الله. (السادسة) وهي من اهمها معرفة صفة عبادة اللات التي هي من اكبر الاوثان. (السابعة) معرفة أَنه قبر رجل صالح. (الثامنة) أَنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية. (التاسعة) لعنه زوارات القبور. (العاشرة) لعنه من أَسرجها.



=قوله: «كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره» فيه شاهد للترجمة، فإنهم غلوا فيه لأجل صلاحه، واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته، وصار من اكبر أوثان أهل الجاهلية.

(١) قوله: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أهل السنن. هذا الحديث صحيح صححه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى. ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارض له.

٢٢ ـ باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جنابَ التوحيد وسدِّه كلَّ طريق يُوصل الى الشرك[١]

وقولِ الله تعالى: ﴿لقد جاءَكُمْ رسولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عليكم﴾ [التوبة: ١٢٨]. الآية[٢]. عن أَبي هريرة رضي الله قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوا بيوتَكم قُبوراً ولا تجعلُوا قَبرِي عِيداً، وصلُّوا عليَّ فانَّ صلاتَكُمْ تَبْلُغني حيثُ كنتم» رواه ابو داود باسناد حسن ورواته ثقات[٣]. وعن عليِّ بن الحسين أَنه رأَى رجُلا يجيءُ الى فرجةٍ

---

(١) قوله: «باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك» قد تقدم فيما سلف من الابواب قبل هذا.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾، وجه الدلالة بالآية أنه ﷺ يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم، وأعظم ما يؤثم الأمةويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ووسائله وما يقرب منه كبائر الذنوب. وقد بالغ ﷺ في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى. وقد كانت هذه حال أصحابه رضي الله عنهم في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم.

(٣) قوله: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود باسناد حسن ورواته ثقات. قال الحافظ محمد بن عبد الهادي هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد يرتقي بها الى درجة الصحة، نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تهجر القبور عن الصلاة اليها مخافة الفتنة بها وما يفضى الى عبادتها من دون الله لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم فنهاهم أن يجعلوا بيتهم كذلك. قوله: «ولا تجعلوا قبري عيداً» فيه شاهد للترجمة. قال شيخ الاسلام: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك. وقال ابن القيم رحمه الله العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، =

كانت عند قبر النبي ﷺ فيَدْخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحَدِّثكم حديثاً سمعتُه من أبي عن جَدِّي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تَتَّخِذُوا قبري عيداً ولا بُيوتَكُم قُبورا، وصلُّوا علي فان تسليمكم يبلُغُني أين كنتم» رواه في المختارة (١).

= مأخوذ من المعاودة والاعتياد. فاذا كان اسما للمكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها. كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالاسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانيه بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر.

(١) قوله: وعن علي بن الحسن أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجه كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فنهاه وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي فان تسليمكم يبلغني أين كنتم» رواه في المختارة. هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي اسماعيل والحافظ الضياء في المختارة. قال شيخ الاسلام: فانظر هذه السنة كيف مخرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط. انتهى. قوله: « عن علي بن الحسن» أي ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنهم. أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم، قال الزهري: ما رايت قرشياً أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح قوله: «انه رأى رجلا يجيء إلى فرجه» بضم الفاء وسكون الراء وهي الكوّة في الجدار والخوخة ونحوهما، قوله: «فيدخل فيها فيدعوه، فنهاه» وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها. قال شيخ الاسلام: ما علمت أحداً رخص فيه، لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً، ويدل ايضاً على ان قصد القبر للسلام إذا دخل ليصلي منهي عنه، لأن ذلك لم يشرع، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فاذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه عند دخول المسجد هو السنة وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه في قوله: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني» فبين أن الصلاة تصل اليه من بعد وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية براءَة. (الثانية) ابعاده أُمته عن هذا الحمى غاية البعد. (الثالثة) ذكر حرصه علينا ورأْفته ورحمته. (الرابعة) نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أَن زيارته من افضل الأَعمال. (الخامسة) نهيه عن الاكثار من الزيارة. (السادسة) حثه على النافلة في البيت. (السابعة) أَنه متقرر عندهم أَنه لا يصلي في المقبرة (الثامنة) تعليله ذلك بان صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وان بعد، فلا حاجة الى ما يتوهمه من اراد القرب. (التاسعة) كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أَعمال أُمته، في الصلاة والسلام عليه.

= مساجد، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب لما كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط آلاخر وهم مع ذلك التمكن من الوصول الى قبره لا يدخلون اليه لالسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً او سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث، وأنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن ارواح الموتى تجسدت لهم فرأوها. والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا، يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعل من بعدهم من الخلوف. قال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا عبد العزيز بن محمد، أخبرني سهيل قال: رآني الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن ابي طالب عند قبر النبي ﷺ فناداني وهو في بيت فاطمة يتمشى فقال: هلم إلى العشاء، قلت: لا اريده. قال: مالي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال لي: ان رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء. قلت: وهذا ايضاً له قرب النسب وقرب الدار، فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده. فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحرى اجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة، ولو كان مشروعاً لما تركه الخلفاء والسابقون =

٢٣ ـ باب

ما جاءَ أَنَّ بعضَ هٰذهِ الأُمَّةِ يَعبُد الأوثان

وقولِ الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ الى الذين أُوتوا نَصِيباً من الكتِاب يُؤمِنُونَ بالجِبْتِ والطاغُوت﴾[النساء: ٥١]. (١) وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذٰلك مَثُوبَةً عندَ الله، مَن لَعَنهُ الله وغَضِبَ عليه وجَعلَ منهمُ القِرَدَةَ والخَنازير وعَبَدَ الطاغوتَ﴾[المائدة: ٦٠]. (٢). وقوله: ﴿قال الذّينَ

= الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين ولما أنكروا على من فعله، وقولهم هو الحجة، وهو الذي دلت عليه الأحاديث كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما، لعلم السلف بما أراده النبي ﷺ بنهيه عن الغلو وخوفه مما وقع ممن غلافي الدين واتبع غير سبيل المؤمنين كما قال: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال اليها لقصد دعائها والاستغاثة بها، وبذل نفيس المال تقرباً اليها وتعظيم سدنتها. فيالها مصيبة ما أعظمها، نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل اليه.

(١) قوله: باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان، وقول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾. الوثن يطلق على كل من قصد بنوع من انواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل عليه السلام: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون إفكا﴾ [العنكبوت: ١٧] مع قوله: ﴿قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين﴾ [الشعراء: ٧١] قوله: وقول الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد. فقالوا: ما أنتم ومحمد؟ فقالوا: نحن نصل الارحام وننحر الكوماء ونسقى الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور: قطع أرحامنا، واتبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلا. فأنزل الله تعالى: ﴿ألم ترإلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ إلى قوله ـ هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا﴾.

(٢) قوله: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله، من لعنه الله وغضب عليه وجعل =

غَلَبُوا علىٰ أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسجداً﴾ [الكهف: ٢١].

عن أَبي سعيد رضي الله عنه أَن رسول الله قال: «لَتَبَتعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ، بالقذة حَتَّى لو دخلوا جُحْرَ ضَب لَدَخَلْتُمُوه» قالوا: يا رسول الله، اليهودَ والنصارى؟ قال: «فمن»؟ أَخرجاه[1]. ولمسلم عن ثَوْبان أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إن اللهَ زَوَى ليَ الأَرض فرأَيت مَشارِقَها ومَغاربها، وإن أُمتى سيَبْلغُ مُلكُها ما زُوِىَ لي منها. وأُعطِيُت الكنزَين:

= منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ قال البغوي في تفسيره: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿هل أنبئكم﴾ أخبركم ﴿بشر من ذلك﴾ يعني قولهم: لم نر أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينا شرا من دينكم، فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار﴾. وقوله ﴿مثوبة﴾ثوابا وجزاء نصب على التفسير﴿عند الله، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى. وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت، فشبابهم مسخوا قردة، ومشايخهم مسخوا خنازير ﴿وعبد الطاغوت﴾ أي جعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له. وفي تفسر الطبري: قرأ حمزة ﴿وعبد الطاغوت﴾ بضم الباء وجر التاء، وقرأ ابن عباس وابن مسعود وابراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين وفتح الدال وخفض التاء. قوله: ﴿أولئك شرمكانا﴾ مما تظنون بنا ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك كقوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا﴾ قاله ابن كثير

(١) قوله: عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال «فمن»؟ أخرجاه. وهذا سياق مسلم. فبين ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الأمة وهو الشاهد للترجمة. قوله: «سنن» بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم، قوله: «حذو القذّة» بنصب حذو على المصدر، والقذة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم، اي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى كما أخبر ﷺ. قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى. انتهى.

الأَحمر، والأَبيض. وإني سأَلتُ ربّي لأُمَّتي أَن لا يُهلِكَها بسَنةٍ بعامَّة، وأَن لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوّاً مِن سِوَى أَنفسهِمْ، فيستبيحَ بَيضَتَهم. وإن ربي قال: يا محمدُ، إذا قَضَيتُ قَضاءً فانه لا يُرَدّ، وإني أَعطيتُكَ لأُمَّتِكَ ان لا أَهلِكَهُم بسَنةٍ بعامَّة، وأَن لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوّا من سِوَى أَنفُسِهم فيَستَبيح بَيْضَتَهم ولو اجتمعَ عليهم مَنْ باقطارها، حتى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بَعضاً ويَسبِي بعضُهم بعضا [١]». ورواه البرقانيُّ في صحيحه،

(١) قوله: عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يامحمد: إذا قضيت قضاء فانه لايرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة، وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً». ورواه البرقاني في صحيحه وزاد «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى». هذا الحديث رواه أبو داود في سننه، وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى. قوله «عن ثوبان» هو مولى النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه ونزل بعد الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين. قوله «زوى لي الأرض» قال النوربشتي: زويت الشيء جمعته وقبضته. يريد تقريب البعيد منها حتى أطلع عليه اطلاعه على القريب صلى الله عليه وسلم. وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظره. قال الطيبي: جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها، قوله «وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها» قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قال، وكان ذلك من دلائل نبوته ﷺ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصين، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته =

وزاد «وإنما أخاف على أُمّتي الأَئمةَ المضلِّين، وإذا وقعَ عليهُم السيفُ لم يُرْفَع إلى يوم القيامة. ولا تقومُ الساعةُ حتى يَلْحَقَ حيّ من أُمَّتي بالمشركين، وحتى تَعبُدَ فِئامٌ من أمّتي الأَوثان. وانهُ سيكونُ في أمَّتي كذّابون ثلاثون، كلهم يَزْعُمُ أَنه نبيّ، وأَنا خاتَم النبيين، لا نبي بعدي [1]. ولا تزالُ طائفة من أُمَّتي على الحقّ منصورةً، لا يَضُرُّهم مَن

= يبلغه. قوله«زوي لي منها» يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول. قوله «وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض» قال القرطبي: يعني به كنز كسرى وهو ملك الفرس، وقيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما. وقد قال ﷺ «والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله» وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب. وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة، ووجد ذلك في خلافة عمر. قوله «واني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة» هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم، وفي بعضها بحذفها. قال القرطبي: وكأنها زائدة لان عامة صفة السنة. والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك العام. قوله «من سوى أنفسهم» أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضاً وسبى بعضهم بعضاً كما هو مبسوط في التاريخ. قوله «فيستبيح بيضتهم» قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته وبيضة القوم ساحتهم. وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما جازوه من البلاد والأرض «ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض» وهي جوانبها، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وان قلوا. قوله «حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً» الظاهر أن «حتى» هنا لانتهاء الغاية أي أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً. قوله«وإن ربي قال: يا محمد، إذا قضيت قضاء فانه لا يرد» هذا كما في الحديث «ولاراد لما قضيت».

(١) قوله «ورواه البرقاني في صحيحه» هو الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي، ولد سنة ستة وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة، قال الخطيب: كان ثبتا ورعا، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفا بالفقه كثير التصانيف، صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة. قوله «وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى ﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم. إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ [الانعام: ١١٩] وقال ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ [الصافات: ٧١] وأمثال هذه الآيات كثير =

خَذَلهم، حتى يأْتَي أَمرُ الله تبارك وتعالى [(١)]».

= وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الاسلام؟ قلت: لا قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين، رواه الدارمي. قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة» وقد وقع ذلك، وما زالت الأئمة كذلك، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة. وفيه ما هو حق كقتال أهل التوحيد لأهل الشرك بالله وجهادهم على تركهم الشرك، وقد منَّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده، لكن أهل الشرك بدءوهم بالقتال وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة. قوله «ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين» الحي واحد الاحياء وهي القبائل وفي رواية أبن داود حتى يلحق قبائل من امتي بالمشركين وكموكم» قوله «وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان» والفئام مهموز: الجماعات الكثيرة، قاله أبو السعادات. وهذا هو شاهد الترجمة وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى انه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك، حتى أقام الله شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناس إلى تركه، وإلى أن يعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره على من ناوأهم، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها، ولكن من الناس من عرف منهم من أنكر، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة جعلنا الله شاكرين. قوله: «وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي» قال القرطبي: قد جاء عددهم معيناً في حديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع نسوة» أخرجه أبو نعيم وقال: هذا حديث غريب، وحديث ثوبان أصح من هذا. قال القاضي عياض: عدّ من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد فيهم، ومن طالع كتب الأخبار والتاريخ عرف صحة هذا، وآخرهم الدجال الأكبر. قوله: «وأنا خاتم النبيين» قال الحسن: الخاتم الذي ختم به، يعني أنه آخر النبيين كما قال تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] وإنما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكمًا بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته فهو كآحاد أمته، بل هو أفضل هذه الأمة.

(١) قوله: «ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» قال النووي: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقيه ومحدث ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد. ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم =

فيه مسائل: (ألاولى) تفسير آية النساء. (الثانية) تفسير آية المائدة. (الثالثة) تفسير آية الكهف. (الرابعة) وهي من اهمها ما معنى الايمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع: هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ (الخامسة) قولهم ان الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين. (السادسة) وهي المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأُمة. كما تقرر في حديث أبي سعيد. (السابعة) التصريح بوقوعها، أعني عبادة الاوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة. (الثامنة) العجب العجاب خروج من يدعى النبوة مثل المختار، مع تكلمه بالشهادتين، وتصريحه أنه من هذه الأُمة وأن

= في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه، ويجوز اخلاء الأرض منهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فاذا انقرضوا جاء أمر الله. انتهى ملخصاً مع زيادة فيه قاله الحافظ. قال المصنف وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية. قوله: «حتى يأتي أمر الله» الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا أشرار الناس وقوله: «تبارك وتعالى» قال ابن القيم رحمه الله تعالى: البركة هي فعله، والفعل منها مبارك، ويتعدى بنفسه تاره وبأداة على تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل منها كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى. والنوع الثاني: بركة تضاف اليه اضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك. وأما صفة تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه في قوله: ﴿ تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: ١] أفلا تراها كيف أطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوه، فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها، وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك: تعاظم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة.

الرسول حق، وأن القرآن حق. وفيه أن محمداً خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كـــثيرة. (التاسعة) البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. (العاشرة) الآية العظمى أنهم ـ مع قلتهم ـ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. (الحادية عشرة) أن ذلك الشرط الى قيام الساعة. (الثانية عشرة) ما فيه من الآيات العظيمة: منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بانه أعطى الكنزين، وإخباره باجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف وانه لا يرفع اذا وقع، وإخباره باهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الامة وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع كما اخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول. (الثالثة عشرة) حصره الخوف على امته من الأئمة المضلين. (الرابعة عشرة) التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

٢٤ ـ باب

ما جاءَ في السحر(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراهُ مالَهُ في الآخرةِ من خَلاق﴾ [البقرة: ١٠٢]. وقولِهِ: ﴿يُؤْمِنونَ بالجِبتِ والطاغوت﴾ [النساء: ٥١]. قال عمر الجِبْت: السحر(٢)، والطاغوت: الشيطان.

وقال جابر: الطواغيتُ كهّانٌ كان ينزِل الشيطانُ، في كل حّيٍ واحدٌ.

عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اجتَنِبوا السبْعَ

---

(١) قوله: «باب ما جاء في السحر» أي والكهانة. السحر في اللغة عبارة عما خفى ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث «إن من البيان لسحراً»، وهذا من التشبيه البليغ شبهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر. قال أبو محمد المقدسي في الكافي: السحر عزائم ورقى، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، قال تعالى ﴿فيتعلمون منهما ما يفرق به بين المرء وزوجه﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤] يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن. ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه واختلفوا: هل يكفر الساحر أولاً؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقى شيء يضر فلا يكفر. ومما يدل على أنه كفر قوله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ [البقرة: ١٠٢].

(٢) وقال عمر في قوله تعالى ﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وتقدم كلام ابن القيم رحمه الله تعالى في حد الطاغوت وأن له أفراداً منها عبادة غير الله، فالمعبود طاغوت كما دلت عليه الآيات، ومنهم الكهان، ومن يحكم بغير الحق، أو يأمر بما يخالف الحق، أو يرضى به وغير ذلك. قوله: «الطواغيت كهان» أراد أن الكهان من الطواغيت. قوله: «كان ينزل عليهم الشيطان» أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة، ويكذبون مائة.

الموبقاتِ» قالوا: يا رسولَ الله، وما هنَّ؟ قال: «الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ، وأَكل الرِّبا، وأَكلُ مال اليتيم، والتولِّي يومَ الزَّحْف، وقَذْفُ المحصَنات الغافلات المؤمنات»[1].

---

(١) قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات» قالوا: يا رسول الله: وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» كذا أورده المصنف رحمه الله تعالى غير معزو، وقد رواه البخاري ومسلم. «اجتنبوا» أي ابعدوا، وهو أبلغ من قوله دعوا أو اتركوا، لأن النهي عن القربان أبلغ كقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ [الأنعام: ١٥١]. قوله: «الموبقات» بموحدة وقاف أي المهلكات، وسميت هذه موبقات لانها تهلك فاعلها فى الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفي الآخرة في العذاب وفي حديث ابن عمير عند البخاري في «الأدب المفرد» مرفوعاً قال: «الكبائر تسع»، وذكر السبعة المذكورة «والالحاد في الحرم، وعقوق الوالدين». قوله: «قال الشرك بالله» هو أن يجعل لله نداً يدعوه أو يرجوه كما يرجو الله، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا ... كان من حجر ومن انسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان

وبدأ به لانه أعظم ذنب عصى الله به كما قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ [لقمان: ١٣]. والسحر تقدم تعريفه. قوله: «وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق» أي نفس المسلم المعصوم، وقتل المعاهد كما في الحديث «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة». وذهب ابن عباس وأبو هريرة إلى أنه لا توبة لمن قتل مؤمناً متعمداً، وذهب جمهور الأمة سلفاً وخلفاً إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله، فان تاب وأناب وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿والذين لا يدعون مع الله آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون، ومن يفعل ذلك يلق أثاما -إلى قوله- إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيماً﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]. قوله: «وأكل الربا» أي تناوله بأي وجه كما قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة: ٢٧٥] الآيات قال ابن دقيق العيد: وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ [آل عمران: ١٣٠]، وفي الحديث: «الربا نيف وسبعون حوبا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه». =

وعن جُنَدبٍ مرفوعا «حَدُّ الساحِرِ ضَربةٌ بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أَنه موقوف (١).

وفي صحيح البخاري عن بَجالةَ بن عَبَدة قال: كتب عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه أن اقتُلوا كل ساحرٍ وساحرة. قال: فقتلنا ثلاثَ سَواحَر(٢). وصحَّ عن حَفْصةَ رضي الله عنها أنها أَمرتْ بقتل جارية لها

= قوله: «وأكل مال اليتيم» يعني التعدي فيه. وعبر بالأكل لأنه أعم وجوه الانتفاع كما قال تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ [النساء: ١٠]. قوله: «والتولي يوم الزحف» أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال. كما قال تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ [الأنفال: ١٦]. قوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» هو بفتح الصاد المحفوظات من الزنا، وبكسرها الحافظات فروجهن منه، والمراد الحرائر العفيفات. قال تعالى: ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ الآية [النور: ٢٣]

(١) قوله: وعن جندب مرفوعاً «حد الساحر ضربة بالسيف» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف. قوله: «عن جندب» رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبد الله البجلي قال الحافظ: والصواب أنه غيره، وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره. قوله: «حد الساحر ضربة بالسيف» روى بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا: يقتل الساحر. وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحر ما يبلغ الكفر به. قال ابن المنذر: وهو رواية عن أحمد، والأول أولى للحديث والأثر عن عمر، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير.

(٢) قوله: «في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر». هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف، لكن لم يذكر قتل السواحر. قوله: «عن بجالة» بفتح الموحدة بعدها جيم «ابن عبدة» بفتحتين التميمي العنبري، بصري ثقة. قوله: كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، وظاهره أنه يقتل من غير =

سَحرتها، فقُتلت[٢]. وكذٰلك صحَّ عن جُندَب. قال احمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ[٣].

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية البقرة. (الثانية) تفسير آية النساء. (الثالثة) تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما. (الرابعة) أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الانس. (الخامسة) معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي. (السادسة) أن الساحر يكفر (السابعة) أنه يقتل ولا يستتاب. (الثامنة) وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده!

= استتابة. وهو كذلك على المشهور عن أحمد، وبه قال مالك، لان علم السحر لايزول بالتوبة، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته وبه قال الشافعي لأن ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته، ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

(٢) قوله: «وصح عن حفصة رضي الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت» هذا الأثر رواه مالك في الموطأ. وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب، تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين.

(٣) قوله: «وكذلك صح عن جندب» أشار المصنف بهذا إلى قتل الساحر كما رواه البخاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال: كان عند الوليد رجل يلعب، فذبح انساناً وأبان رأسه فعجبنا، فأعاد رأسه، فجاء جندب الأزدي فقتله. ورواه البيهقي في الدلائل مطولا وفيه: فأمر به الوليد فسجن، فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة. قوله: «قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ»، أحمد هو الامام أحمد بن حنبل، أي صح قتل الساحر عن ثلاثة.

٢٥ ـ باب

بيان شيءٍ من أَنواع السحر

قال احمد: حدَّثنا محمد بن جعفر، حدثنا عَوف، عن حَيَّان بن العَلاء، حدثنا قَطَنُ بن قَبِيصة، عن أَبيه، أَنه سمع رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ العيافة والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجبت». قال عوفٌ العِيافةُ: زجرُ الطير، والطَّرق: الخَطُّ يُخَطُّ بالأَرض، والجِبتُ قال الحسن: رَنَّةُ الشيطان. إسناده جيد. ولابي داود والنسائي وابن حِبّان في صحيحه المسنَدُ منه [١].

---

(١) قوله: باب بيان شيء من أنواع السحر. قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن حيان بن العلاء حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه. قوله «المسند منه» لم يذكروا قول عوف. قوله: «قال أحمد» هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. ومحمد بن جعفر هو المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين وعوف هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف بعوف الاعرابي ثقة، مات سنة ست أو سبع - وأربعين وله ست وثمانون سنة. وحيان بن العلاء بالتحتية ويقال حيان بن مخارق أبو العلاء البصري مقبول. وقطن بفتحتين أبو سهلة البصري صدوق. قوله «عن أبيه» هو قبيصة بفتح أوله ابن مخارق بضم الميم أبو عبد الله الهلالي صحابي نزل البصرة. قوله: «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت، قال عوف: العيافة زجر الطير، والطرق الخط يخط بالأرض» والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب وكثير في أشعارهم. يقال عاف يعيف اذا زجر وحدس وظن. قوله: «والطرق الخط يخط بالأرض» هكذا فسره عوف وهو كذلك. قال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذي يفعله النساء قوله: «من الجبت» أي السحر. قوله: «قال الحسن: رنة الشيطان». قلت: ذكر ابراهيم بن محمد بن مفلح أن في تفسير بقيّ بن مخلد: أن إبليس رنّ أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين هبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، ورنة حين أنزلت =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «مَن اقتبسَ شُعبةً من النجوم فقد اقتبس شُعبة مِنَ السحر، زاد ما زاد» رواه ابو داود وإسناده صحيح [1].

وللنسائي من حديث أَبي هريرة «مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَر، ومن سَحَر فقد أَشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِل اليه» [2].

= فاتحة الكتاب. وروى الحافظ الضياء في المختارة: الرنين الصوت، وقد رن يرن رنيناً. وبهذا يظهر قول الحسن رضي الله عنه.

(١) قوله: وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد». رواه أبو داود بإسناد صحيح وكذا صححه النووي والذهبي، ورواه أحمد وابن ماجه. قوله: «من اقتبس» قال أبو السعادات. قبست العلم وأقبست اذا علمته انتهى. قوله: «شعبة» أي طائفة. ومنه الحديث «الحياء شعبة من الإيمان» أي جزء منه. قوله: «فقد اقتبس شعبة من السحر» المحرم تعليمه. قال شيخ الاسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر، وقد قال تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٩]. قوله «زاد ما زاد» أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه. فان ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل، كما أن تأثير السحر باطل. والله أعلم.

(٢) قوله: وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئا وكل اليه» هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي. وقد رواه النسائي مرفوعا وحسنه ابن مفلح. قوله: «وللنسائي» هو الإمام الحافظ بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن صاحب السنن الكبرى والمجتبى وغيرهما، روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق. وكان اليه المنتهى في العلم بعلل الحديث، مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة. وله ثمانون سنة. قوله: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر» قال تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ [الفلق: ٤] يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك. والنفث هو دون التفل. قوله: «ومن تعلق شيئاً وكل اليه» أي من علق قلبه بشيء بحيث يرجوه ويخافه وكله الله إلى ذلك الشيء. ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه، كما قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣] =

وعن ابن مسعود أن رسولَ الله ﷺ قال: «ألاهل أَنَبِّئُكُمْ ما العَضْهُ؟ هي النميمةُ، القالة بين الناس». رواه مسلم (١).

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنـهما أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرا» (٢).

= وقال تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾ [المائدة: ٢٣] ومن تعلق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك.

(١) قوله: وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة، القالة بين الناس» رواه مسلم. قوله: «ألا أنبئكم ما العضة»؟ بفتح المهملة وسكون المعجمة ثم فسرها بقوله: «هي النميمة، القالة بين الناس» فأطلق عليها العضه لأن النمام يعمل عمل الساحر، وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة، وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس، قال ابن حزم واتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة. وفيه دليل على أنها من الكبائر قوله «القالة بين الناس» ومنه الحديث «ففشت القالة بين الناس» أي كثرة القول وإيقاع الخصومة.

(٢) قوله: ولهما عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ان من البيان لسحراً». البيان الفصاحة والبلاغة. قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم، لأن السحر مذموم. وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح، لأن الله تعالى مدح البيان. قال وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله: هذا والله السحر الحلال. انتهى. والأول أصح، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس، كما قال بعضهم:

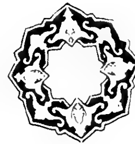
في زخـرف القـول تـزيينٌ لبـاطله ... والحق قـد يعتـريـه سـوء تعبيـر

مأخوذ من قول الآخر:

تقـول هـذا مجاج النحل تمـدحـه ... وإن تـشـأ قلت ذاقـيء الـزنـابيـر
مـدحاً وذماً ومـا جـاوزت وصفهما ... والحق قـد يعتـريـه سـوء تعبيـر

قوله: «إن من البيان لسحرا» هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبل الباطل =

فيه مسائل: (الاولى) أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت. (الثانية) تفسير العيافة والطرق والطيرة. (الثالثة) أن علم النجوم من انواع السحر. (الرابعة) أن العقد مع النفث من ذلك. (الخامسة) أن النميمة من ذلك (السادسة) أن بعض الفصاحة منه.



= وينكر الحق. وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره، ويبطل الباطل ويبينه، فهذا هو الممدوح، وهكذا حال الرسل وأتباعهم، ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم.

٢٦ ـ باب

ما جاءَ في الكهّان ونحوهم(١)

رَوى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَن أَتىٰ عَرّافاً فسأَله عن شيء فصَدَّقه، لم تُقبَلْ له صلاةُ أَربعين يوما» (٢).

وعن أَبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتىٰ كاهنا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفَرَ بما أُنزلَ على محمد» ﷺ. رواه أَبو داود (٣).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في الكهان ونحوهم» الكاهن: هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيراً، وأما بعد المبعث فانهم قلوا، لأن الله حرس السماء بالشهب. وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشياطين. كما قال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا. قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ الآية [الأنعام: ١٢٨].

(٢) قوله: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل صلاة له أربعين يوماً» قوله: «عن بعض أزواج النبي ﷺ» هي حفصة، ذكره أبو مسعود الثقفي، لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها. قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل هو الكاهن. والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وقيل الذي يخبر عما في الضمير، وقال شيخ الاسلام: العراف اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم. وقال أيضاً: والمنجم يدخل في اسم العراف. وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرافاً. قوله: «لم تقبل له صلاة أربعين يوماً» قال النووي وغيره ما معناه: إنه لا ثواب له فيها، وأن كانت مجزءة بسقوط الفرض عنه. ولابد من هذا التأويل في هذا الحديث. فان العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة. انتهى ملخصا

(٣) قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول =

وللاربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن. . . . «مَن أَتىٰ عَرّافا أَو كاهنا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزِل على محمد» ﷺ [1].

ولابي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا [2].

وعن عِمْرانَ بن حُصَين مرفوعا. «ليس منّا من تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ له، أَو تَكَهَّنَ أَو تُكُهِّنَ له، أَو سَحَر أَو سُحِر له. ومَن أَتىٰ كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزلَ على محمد» ﷺ رواه البزَّار باسناد جيد، ورواه الطَّبَرانيُّ في الأَوسط باسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «ومَنْ أَتى» الى آخره [3].

= فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه أبو داود وفي رواية أبي داود «أو امرأته» قال مسدد: «امرأته حائضاً». أو «أتى امرأة» قال مسدد: «امرأته في دبرها فقد برىء مما أنزل على محمد» ﷺ.

(١) قوله: وللأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن. . . . «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» صلى الله عليه وسلم، هكذا بيض المصنف لاسم الراوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً. قوله: «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ، قال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة.

(٢) قوله «ولأبي يعلى سنبد جيد عن ابي مسعود ومثله موقوفاً» ابو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره، روى عن يحي بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق، وكان من الأئمة الحفاظ، مات سنة سبع وثلثمائة. وهذا الأثر رواه البزار أيضاً ولفظه «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» وفي هذه الاحاديث التصريح بكفره.

(٣) قوله: وعن عمران بن حصين مرفوعا «ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له او سحر أو سحر له ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ رواه البزار بإسناد جيد من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى الخ» قوله: «ليس منا» دليل على نفي =

قال البَغَويُّ: العَرّافُ: الذي يَدَّعِي معرفةَ الاموربمقدماتيستدلُّ بها على المسروقِ ومكانِ الضالَّةِ ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن والكاهِن: هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل. وقيل: الذي يخبر عما في الضمير. وقال أَبو العباس بن تيمية: العرَّافُ اسمٌ للكاهن والمنجِّم والرمّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأُمور بهذه الطرق، وقال ابن عباس في قوم يكتبون «أَبا جاد» وينظرون في النجوم: ما أَرَى مَن فعل ذلك له عندَ الله مِن خَلاق [1].

فيه مسائل: (الأُولى) أَنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الايمان بالقرآن. (الثانية) التصريح بانه كفر. (الثالثة) ذكر من تكهن له. (الرابعة) ذكر من تطير له. (الخامسة) ذكر من سحر له. (السادسة) ذكر من تعلم «أَبا جاد». (السابعة) ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

= الإيمان الواجب، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر. قوله: «رواه البزار» هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار البصري صاحب المسند الكبير، روى عن بشار وابن المثنى وخلق، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

(١) قوله: «قال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا وإسناده ضعيف. قوله: «ما أرى» يجوز فتح الهمزة بمعنى لا أعلم، ويجوز ضمها بمعنى لا أظن. وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعى بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف، وهو الذي فيه الوعيد، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به. قوله: «وينظرون في النجوم» أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في باب التنجيم، وفيه الحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد ورد النهي عنها والتحذير من قربى أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم، فما أكثر من يغتر بهذه الأمور.

٢٧ - باب
ما جاءَ في النُّشْرَة[١]

عن جابر أَنَّ رسولَ الله ﷺ سُئلَ عن النُّشْرة، فقال «هي من عملِ الشيطان» رواه أحمد بسند جيد، وأَبو داود وقال: سُئِلَ أَحمدُ عنها فقال: ابنُ مسعود يكره هذا كله [٢].

وفي البخارى عن قَتادةَ: قلتُ لابن المُسيَّب: رجلٌ به طِبّ أَو يُؤَخَّذُ عن امرأته، أَيُحَلُّ عنه أَو يُنَشَّر؟ قال: لا بأَس به، إنما يُريدون به الإصلاح فأَما ما يَنفُع فلم يُنْهَ عنه. انتهى [٣].

---

(١) قوله: «باب ما جاء في النشرة» بضم النون كما في القاموس. قال أبو السعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء، أي يكشف ويزال. قال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.

(٢) قوله: عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «هي من عمل الشيطان». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله. هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في سننه، وحسن الحافظ إسناده، قوله: «سئل عن النشرة» الألف واللام في النشرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان.

(٣) قوله «وفي البخاري عن قتادة، قلت لابن المسيب: رجل به طب أو يؤخذ عن امرأته، ايحل عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الاصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه قوله: «عن قتادة» هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسي، ثقة فقيه حافظ من أحفظ التابعين وأئمة التفسير، قالوا أنه ولد أكمه، مات سنة بضع عشرة ومائة. قوله «رجل به طب» بكسر الطاء أي سحر، يقال طب الرجل بالضم إذا سحر. قوله «يؤخذ» بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعدها ذال معجمة، أي يحبس عن امرأته لا يصل إلى جماعها، والأخذ بضم الهمزة الكلام الذي قاله الساحر. قوله «أيحل» بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول، قوله «أو ينشر» =

ورُوى عن الحسن أَنه قال: لا يَحلُّ السِّحرَ الا ساحر [1]. قال ابن القيم: النُّشْرة حَلُّ السحرِ عن المسحور، وهي نوعان: حَلٌّ بسحر مثلهِ، وهو الذي من عملِ الشيطان، وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان بما يحبُّ، فَيبطُل عمله عن المسحور. والثاني: النُّشرةُ بالرقيةِ والتعوُّذات والادوية والدعواتِ المباحة، فهذا جائز.

فيه مسائل: (الاولى) النهي عن النشرة. (الثانية) الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الاشكال.

بتشديد المعجمة. قوله «لا بأس به» يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الاصلاح، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر.

(١) قوله «وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر». هذا الأثر ذكره ابن الجوزى في جامع المسانيد، والحسن هو ابن أبي الحسن، واسمه سيار بالتحتية والمهملة، البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه إمام من خيار التابعين، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين. قوله «قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور. والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة، فهذا جائز» ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى، تقرأ في إناء فيه ماء- ثم يصب على رأس المسحور- الآية التي في سورة يونس ﴿ما جئتم به السحر إن الله سيبطله، إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾- إلى قوله- ولو كره المجرمون- وقوله ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ [الأعراف: ١١٨] إلى آخر الآيات الأربع. وقوله ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [طه: ٦٩]. وقال ابن بطال: في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقوافل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به، يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

٢٨ - باب

ما جاءَ في التطيرِ(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿أَلا إنما طائِرُهُمْ عندَ اللهِ ولٰكِنَّ أَكثَرهُمْ لا يَعْلَمون﴾ [الأعراف: ١٣١]. (٢).

وقوله: ﴿قالوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ [يسٓ: ١٩]. الآية (٣).

عن أَبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا عَدْوَى، ولا

(١) قوله: «باب ما جاء في التطير» أي من النهي عنه والوعيد، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء- وقد تسكن- اسم مصدر من تطير طيرة، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء، وغيرهما، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر. قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

(٢) قوله: وقول الله تعالى ﴿ألا إنما طائرهم عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله ﴿فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه﴾ أي نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي بلاء وقحط ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم، فقال تعالى ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ قال ابن عباس: طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم. وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله. قوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله.

(٣) قوله: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ الآية، المعنى: حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب افعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعدوانكم. فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله. وقوله: ﴿أإن ذكرتم﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ [يسٓ: ١٩].

طِيَرَةَ ولا هامةَ، ولا صَفَر» أَخرجاه. زاد مسلم «ولا نَوْءَ ولا غُول»[١]

ولهما عن أَنس قال: قال رسولُ الله ﷺ :لا عَدْوَى ولا طِيَرَة، ويعجبُني الفأْل» قالوا: وما الفأْل؟ قال «الكلمةُ الطيبة»[٢].

---

(١) قوله: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر» أخرجاه. زاد مسلم «ولا نوء ولا غول». قال أبو السعادات: العدوى اسم من الإعداء كالدعوى. يقال اعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما يصاحب الداء. قوله: «ولا طيرة» قال ابن القيم: يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً، أي لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي انما يدل على المنع منه. قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالانكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاووس مع صاحب له في سفر فصاح غراب، فقال الرجل: خير. فقال طاووس: وأي خير عند هذا؟ لا تصحبني. انتهى ملخصاً. قوله: «ولا هامة» بتخفيف الميم على الصحيح. قال الفراء: الهامة طير من طير الليل كان يعني البومة. قال ابن الاعرابي: كانوا يتشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعتْ إليَّ نفسي أو أحداً من أهل داري. فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله. قوله: «ولا صفر» بفتح الفاء، روى أبو عبيد في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس، وهي أعدى من الجرب عند العرب، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير، وقال: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه، وهذا قول مالك. وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون: انه شهر مشؤوم فابطل ذلك النبي ﷺ. قال ابن رجب: ولعل هذا أشبه الأقوال. والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة. قوله: «ولا نوء» سيأتي الكلام عليه في بابه. قوله: «ولا غول» هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا. والمعنى بقوله: «لا غول» أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه ومنه الحديث «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى.

(٢) قوله: ولهما عن انس قال: قال رسول الله ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قالوا: =

ولأبي داود بسند صحيح، عن عُقبة بن عامر، قال: ذكِرَتِ الطِيَرَةُ عند رسول الله ﷺ فقال «أَحْسَنُها الفأْلُ، ولا تَرُدُّ مُسْلما، فاذا رَأَى أَحدُكم ما يَكْرَهُ فليقلْ: اللهمَّ لا يأْتي بالحسنات إلا أَنت، ولا يَدفعُ السيِّئاتِ إلا أَنت، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بك»(١).

= وما الفأل؟ قال «الكلمة الطيبة». قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر، قوله: «قالوا وما الفأل»؟ قال: «الكلمة الطيبة» بين ﷺ أن الفأل يعجبه، فدل أنه ليس من الطيرة المنهي عنها. قال ابن القيم: ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها، والله تعالى جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم اليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفرح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك. فاذا سمعت الأسماع أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها، وأثار ذلك لها خوفاً وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا، ونقصاً في الإيمان، ومقارفة للشرك.

(١) قوله: ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً. فإذا رأى احدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك». قوله: «عن عقبة بن عامر» هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوا به عن عروة بن عامر القرشي، كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكي اختلف في نسبه فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره الجهني. واختلف في صحبته فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح.

قال ابن القيم: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر. قوله: «ولا ترد مسلمًا» قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه قوله اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» أي لا تأتي بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب. ففيه تعلق القلب بغير الله في حلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا ح =

وله من حديث ابن مسعود مرفوعا «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطيرة شرك، وما منَّا إلا . . . ولكن الله يُذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذي وصحّحه وجعل آخِرَه من قول ابن مسعود[1].

ولأحمد من حديث ابن عَمْرو «مَنْ رَدَّتْه الطيرةُ عن حاجته فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول: اللهمَّ لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إله غيرُك»[2].

= تدفع ضراً، وبعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً. قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» والحول التحول والنتقال من حال إلى حال والقوة على ذلك بالله وحده، ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

(١) قوله: وعن ابن مسعود مرفوعا «الطيرة شرك الطيرة شرك. وما منا إلا . . . ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود، ولفظ أبي داود «الطيرة شرك» ثلاثاً. وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله. قال ابن مفلح: الأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية. قوله: «وما منا إلا» قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار التقدير، وما منا إلا وقد وقع قلبه في شيء من ذلك. انتهى. قوله: «ولكن الله يذهبه بالتوكل» لكن إذا توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله تعالى عنا بتوكلنا عليه وحده. قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود» قال ابن القيم: وهو الصواب، فان الطيرة نوع من الشرك.

(٢) قوله: ولأحمد من حديث ابن عمرو «من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» قالوا فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك». هذا الحديث رواه احمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات. قوله: من حديث ابن عمرو. هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد، وقيل أبو عبد الرحمن، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الصحيح بالطائف. قوله: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد =

وله من حديث الفضل بن العباس «إنما الطِّيَرَةُ ما أَمضاكَ أَورَدَّكَ»[1].

فيه مسائل: (الاولى) التنبيه على قوله: ﴿أَلا إنما طائرهم عند الله﴾ مع قوله: ﴿طائركم معكم﴾. (الثانية) نفي العدوى. (الثالثة) نفي الطيرة. (الرابعة) نفي الهامة. (الخامسة) نفي الصفر. (السادسة) أَن الفال ليس من ذلك بل مستحب. (السابعة) تفسير الفأْل. (الثامنة) أَن الواقع في القلب من ذلك مع كراهته لا يضر، بل يذهبه الله بالتوكل. (التاسعة) ذكر ما يقوله من وجده. (العاشرة) التصريح بان الطيرة شرك. (الحادية عشرة) تفسير الطيرة المذمومة.

= اشرك» وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع، فاذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك، فيكون شركا بهذا الاعتبار. قوله: «قالوا فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك»الخ فيه تفويض الأمور إلى الله تقديراً وتدبيراً وخلقاً، والبراءة مما فيه تعلق بغير الله تعالى كائناً من كان. قوله: «ولا إله غيرك» أي لا معبود مستحق سواك، فاذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يلتفت اليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلا على الله وتفويضاً اليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك.

(١) قوله: وله من حديث الفضل بن العباس «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك» هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن العباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ فساقه، إلى أن قال «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» والفضل هو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، قال ابن معين: قتل يوم اليرموك وقال غيره: قتل يوم مرج الصُّفَّر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وقال أبو داود: قتل بدمشق، كان عليه درع النبي ﷺ. قوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» هذا حد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الانسان على المضي فيما أراد، أو يمنعه من المضي فيه كذلك، وأما الفأل الذي كان يحبه ﷺ ففيه نوع بشارة، فيس به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف الطيرة، فافهم الفرق.

٢٩ ـ باب

ما جاءَ في التنجيم(١)

قال البخاريُّ في صحيحه: قال قَتادةُ: خَلقَ اللهُ هٰذه النجوم لثلاث: زِينةً للسماء، ورُجوماً للشياطين، وعَلامات يُهتَدَى بها. فمن تأَول فيها غيرَ ذلك أَخطأَ وأَضاعَ نَصيبَه، وتَكَلَّفَ مالا عِلمَ له به. انتهى (٢).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في التنجيم» قال شيخ الإسلام: هو الاستدلال بالأحوال الفلكية، على الحوادث الأرضية. وقال الخطابي: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها، يدعون أن لها تأثيراً في السفليات، وهذا منهم تحكم على الغبب، وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سواه.

(٢) قوله: «قال البخاري في صحيحه قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدي بها. فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به» انتهى. هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم، وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة بلفظ أطول من هذا. وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له انكاره على من اعتقده وتعلق به. وهذا العلم مما ينافي التوحيد، ويوقع في الشرك، لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾ [النمل: ٦٥]. قوله: «خلق الله هذه النجوم لثلاث» قال تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾ [الملك: ٥]. وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال: رسول الله ﷺ «أما السماء الدنيا فأن الله خلقها من دخان، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وزينها بمصابيح، وجعلها رجوماً للشياطين، وحفظاً من كل شيطان رجيم». قوله «وعلامات» أي دلالات على الجهات «يهتدى بها» أي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [الأنعام: ٩٧]. أي لتعرفوا بها جهة قصدهم. فان =

وكره قتادة تعلُّمَ مَنازل القمر. ولم يُرخِّص ابنُ عُيَينَةَ فيه. ذَكَرَه حربٌ عنهما. ورخَّص في تعلُّم المنازل أحمد واسحاق [١].

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يَدخُلون الجنةَ: مُدْمِنُ الخمر، وقاطعُ الرَّحِم، ومُصدّقٌ بالسحر» رواه أحمد وابن حبّان في صحيحه [٢].

= قيل المنجم قد يصدق، قيل صدقه كصدق الكاهن يصدق في كلمة ويكذب في مائة، وصدقه ليس عن علم، بل قد يوافق قدراً فيكون فتنة في حق من صدقه.

(١) قوله: «وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما، ورخص في تعلم المنازل أحمد واسحاق». قال الخطابي: أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فانه غير داخل فيما نهى عنه. وذلك أن معرفة هذا العلم يصح علمه بالمشاهدة. وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فانها من الكواكب رصدها أهل الخبرة بها الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به، مثل أن يشاهدها بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها. فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير متهمين في دينهم، ولا مقصرين في معرفتهم. انتهى. وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به. قال ابن رجب: والمأذون في تعلمه علم التسيير، لا علم التأثير فانه باطل محرم قليله وكثيره. أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج اليه للاهتداء، ومعرفة القبلة والطرق، وهو جائز عند الجمهور. قوله: «ذكره حرب عنهما» هو الإمام الحافظ حرب بن اسماعيل أبو محمد الكرماني الفقيه من أجلة أصحاب الإمام أحمد، روى عن أحمد وغيره، مات سنة ثمانين ومائتين. وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري الإمام المعروف بابن راهويه. روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم. قال أحمد: إسحاق عندنا من أئمة المسلمين. روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم، وروى هو أيضاً عن أحمد، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين.

(٢) قوله: وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه، وهذا الحديث رواه ايضاً الطبراني والحاكم وقال: صحيح وأقره الذهبي. قوله: «عن أبي موسى» هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد أبو موسى الأشعري، صحابي جليل، مات سنة =

فيه مسائل: (الاولى) الحكمة في خلق النجوم. (الثانية) الرد على من زعم غير ذلك. (الثالثة) ذكر الخلاف في تعلم المنازل. (الرابعة) الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.



= خمسين. قوله: «ثلاثة لا يدخلون الجنة» الشاهد للترجمة «ومصدق بالسحر». وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره كقوله: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» ﷺ وأختار الإمام أحمد رحمه الله تعالى أن مثل هذه الأحاديث تمر كما جاءت من غير تأويل. قال الذهبي في الكبائر: ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها، وعقد المرء من زوجته، ومحبة الزوج لامرأته وبغضها وبغضه، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة. انتهى باختصار

٣٠ ـ باب

ما جاءَ في الاسْتِسْقاء بالأَنواء

وقولِ الله تعالى: ﴿وتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. (١)

عن أَبي مالك الأَشعريّ رضي الله عنه، أَن رسولَ الله ﷺ قال: «أَربعٌ في أُمَّتي مِنْ أَمرِ الجاهلية لا يتركونَهنَّ: الفخرُ بالأَحساب، والطعنُ في الأَنساب، والاسْتِسْقاءُ بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحةُ اذا لم تَتُبْ قبلَ موتِها تُقام يومَ القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قَطِران، ودِرْعٌ من جَرَب» رواه مسلم (٢).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، وقول الله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي من الوعيد، والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء ـ جمع نوء ـ وهي منازل القمر. قال أبو السعادات: وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ [يٓس: ٣٩]. يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه الى النجم الساقط ويقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع. قوله تعالى:

﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ الاية، روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿وتجعلون رزقكم﴾ يقول: شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا. روى ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية. وقال ابن القيم: أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن. قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون، قال: وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب.

(٢) قوله: عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا =

= يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم. وأبو مالك: اسمه الحارث الشامي، صحابي تفرد عنه بالرواية أبو سلام، وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا. قوله: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن» ستفعلها هذه الأمة: إما مع العلم بتحريمها، أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية. يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث. وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها، ومتى وجد الشرك وحدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات. قال شيخ الاسلام: أخبر أن بعض أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الاسلام، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فان في ذلك ذما للتبرج، وذماً لحال أهل الجاهلية الأولىٰ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة. قوله: «الفخر بالأحساب» أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم، وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]. ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعاً «إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَة الجاهلية وفخرها بالآباء، انما هو: مؤمن تقي، أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب. ليدعنَّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» الحديث. قوله: «والطعن في الأنساب» أي الوقوع فيها بالعيب والنقص، ولما عير أبو ذر رجلا بأمه قال النبي ﷺ «أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية» متفق عليه. فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية، وأن المسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه، قال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى قوله: «والاستسقاء بالنجوم» تقدم معناه، فاذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو: إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبة المطر لغير من انزله وهو الله وحده، وإما مع إطلاق هذا اللفظ فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه وكذلك صاحب الانصاف ولم يذكرا خلافاً. قوله «والنياحة» أي رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث. قوله: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها» ففيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب. قوله: «تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص، وهذه سرابيل أهل النار يعني يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم، ورائحتهن أنتن، وروى عن ابن عباس أن القطران هو النحاس المذاب.

ولهما عن زيدِ بنِ خالد رضي الله عنه قال: صلى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصُبْح بالحُدَيْبِية على إثِرِ سماءٍ كانتْ من الليل، فلما انصرفَ أَقبل على الناس فقال «هل تَدْرُونَ ماذا قال ربُّكم»؟ قالوا: اللهُ ورسوله أَعلم. قال: «قال: أَصبحَ من عِبادِي مؤمنٌ بي وكافر، فأَمّا مَن قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته فذٰلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكَوْكَب، وأَمّا مَن قال مُطِرْنا بنَوْءِ كذا وكذا فذٰلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب» [١].

ولهما من حديث ابن عباس معناه. وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوءُ كذا وكذا، فأَنزلَ اللهُ هذه الآية: ﴿فلا أُقْسِمُ بمَواقِعِ النجوم﴾ الى قوله: ﴿تُكَذِّبون﴾ [الواقعة: ٧٦- ٨٢] [٢].

---

(١) قوله: وعن زيد بن خالد قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم» ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب». زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور، مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك، وله خمس وثمانون سنة. قوله: «صلى لنا» أي بنا. قال الحافظ وفيه إطلاق ذلك مجازاً. قوله: «بالحديبية» بتخفيف يائها وقد تثقل. قوله: «على إثر» بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور، وهو ما يعقب الشيء. قوله: «سماء» أي مطر قوله: «فلما انصرف» من صلاته، أي إلى المأمومين. قوله: «هل تدرون»؟ لفظ استفهام ومعناه التنبيه، وفي النسائي «ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة» وفيه إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم. قوله: «قالوا الله ورسوله أعلم» فيه حسن الأدب للمسئول إذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه، وذلك يجب. قوله: «أصبح من عبادي مؤمن بي» لأنه نسب الفعل إلى فاعله الذي لا يقدر عليه غيره. قوله: «وكافر» إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر، لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر قوله: «فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته» فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى.

(٢) قوله: ولهما من حديث ابن عباس معناه، وفيه: قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم -إلى قوله- تكذبون﴾ تقدم معناه قريباً.

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية الواقعة. (الثانية) ذكر الأَربع التي من أَمر الجاهلية. (الثالثة) ذكر الكفر في بعضها. (الرابعة) أَن من الكفر ما لا يخرج عن الملة. (الخامسة) قوله: «أَصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» بسبب نزول النعمة. (السادسة) التفطن للايمان في هذا الموضع. (السابعة) التفطن للكفر في هذا الموضع. (الثامنة) التفطن لقوله: «لقد صدق نوءُ كذا وكذا». (التاسعة) إخراج العالم للمتعلم المسأَلة بالاستفهام عنها، لقوله: «أَتدرون ماذا قال ربكم». (العاشرة) وعيد النائحة.



٣١ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿ومِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللهَ﴾ [البقرة: ١٦٥]. الآية (١).

وقوله: ﴿قُلْ إنْ كان آباؤ كم وأَبناؤ كم ـ الى قوله ـ أَحبَّ اليكم مِنَ اللهِ ورسولِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]. الآية (٢).

عن أَنَس، أَن رسول الله ﷺ قال: «لا يُؤْمِنُ أَحدُكم حتَّىٰ أَكونَ أَحبَّ اليه مِنْ وَلَدِه ووالدِهِ والناس أَجمعين» أَخرجاه (٣).

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوةَ الإيمان: أن يكونِ الله ورسولُه أَحبَّ إليه مما سِواهما، وأَن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا لله، وأَنْ يكرَهَ أَن يعودَ في الكفر بعدَ إِذْ أَنقذَه الله منه كما يَكرَهُ

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾ قال في شرح المنازل: أخبر تعالى أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، فان أحداً من أهل الأرض لا يثبت هذا الند، بخلاف ند المحبة فان أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في المحبة والتعظيم اهـ قلت: وقد وقع الشرك في الربوبية أيضاً في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفاً في الكون ونحو ذلك.

(٢) قوله: ﴿قل إن كان آباؤ كم وأبناؤ كم -إلى قوله- أحب إليكم من الله ورسوله﴾ الآية، قال ابن كثير: ان كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه.

(٣) قوله: عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» أخرجاه، أي البخاري ومسلم. قوله: «لا يؤمن» أي الايمان الواجب، والمراد كماله، حتى يكون الرسول ﷺ أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين. وذلك =

أن يُقذَفَ في النار» .وفي رواية «لا يَجِدُ أَحَدٌ حلاوةَ الإيمان حتى» الى آخره[(١)]

وعن ابن عباس قال: من أَحبَّ في اللهِ، وأَبغضَ في اللهِ، ووالىٰ في اللهِ، وعادىٰ في اللهِ، فانما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذٰلك، ولنْ يَجدَ عبدٌ طعم الإيمان وإنْ كثرتْ صَلاتُه وصومُه ـ حتّى يكونَ كذلك، وقد صارتْ عامَّةُ مُؤاخاةِ الناسِ على أَمرِ الدنيا، وذٰلك لا يُجدِي على أَهلهِ شيئا. رواه ابن جرير (٢).

= يقتضي تعظيم أمره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه، ومن كان كذلك فقد أحب الله كما في آية المحبة.

(١) قوله: «ولهما عنه» أي البخاري ومسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه بهن وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» قوله: «ثلاث» أي خصال، قال شيخ الاسلام: أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراده فانه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهي. قال: فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريغها ودفع ضدها، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما. قلت: ومن لازم محبة الله وأنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده، وكراهة مايكرهه سبحانه، ومعاداة أعدائه، وموالاة أوليائه. فلا يحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك. قوله: «أحب اليه مما سواهما» ثنى الضمير هنا لتلازم المحبتين. والله أعلم. قوله: «كما يكره أن يقذف في النار» أي يستوي عنده الأمران. قوله: «وفي رواية لا يجد» هي عند البخاري في الأدب المفرد ولفظه «لايجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب اليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، وحتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما»

(٢) قوله: وعن ابن عباس قال: من أحب في الله، وأبغض في الله، وعادى في الله ووالى في الله، فانما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون =

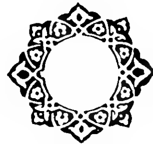
وقال ابنُ عباس في قوله: ﴿وتقطَّعتْ بهمُ الأَسباب﴾ [البقرة: ١٦٦]. قال: المودَّة (١).

فيه مسائل: (الأُولى) تفسير آية البقرة. (الثانية) تفسير آية براءَة. (الثالثة) وجوب محبته ﷺ على النفس والأَهل والمال. (الرابعة) أَن نفي الإِيمان لا يدل على الخروج من الاسلام. (الخامسة) ان للايمان حلاوة قد يجدها العبد وقد لا يجدها. (السادسة) أَعمال القلب الاربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أَحد طعم الايمان الا بها. (السابعة) فهم

=كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً. رواه ابن جرير. قوله: «من أحب في الله» أي احب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك. قوله: «وأبغض في الله» أي أبغض من كفر بالله وأشرك به وعصاه لارتكابه ما يسخط الله وان كان أقرب الناس اليه كما قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ [المجادلة: ٢٢] قوله: «ووالى في الله» بالمحبة والنصرة بحسب القدرة. قوله: «وعادى في الله» من كان عدواً لله ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي، فتجب عداوته بما يقدر عليه. قوله: «وانما تنال ولاية الله بذلك» أي توليه لعبده. «ولاية» بفتح الواو. وفي الحديث «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله عز وجل» رواه الطبراني. قوله: «ولن يجد عبد طعم الإيمان» أي لا يحصل له ذوق الإيمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به «وان كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك» قال تعالى: ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ [يونس: ٥٨] قوله: «وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً» يعني أنه إذا ضعف داعي الإيمان أحب دنياه وأحب لها وواخى لأجلها، وهذا هو الغالب على أكثر الخلق محبة دنياهم وإيثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً، بل يضر في العاجل والآجل فالله المستعان.

(١) قوله: «وقال ابن عباس في قوله: ﴿وتقطعت بهم الأسباب﴾ قال: «المودّة» أي حتى إذا كانت بينهم خانتهم أحوج ما كانوا اليها قال تعالى: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾ [العنكبوت: ٢٥] الآية.

الصحابي للواقع: أَن عامة المؤاخاة على أَمر الدنيا. (الثامنة) تفسير (وتقطعت بهم الاسباب). (التاسعة) أَن من المشركين من يحب الله حباً شديداً. (العاشرة) الوعيد على من كانت الثمانية أَحب إِليه من دينه. (الحادية عشرة) أَن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأَكبر.



٣٢ - باب

قولِ الله تعالى: ﴿إنما ذٰلكُم الشيطان يُخَوِّفُ أولياءَه، فلا تخَافوهُمْ وخافونِ إنِ كنتمْ مُؤْمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥]. (١). وقوله: ﴿إنما يَعْمُرُ مَساجدَ اللهِ مَن آمن بالله واليوم الآخِرِ وأَقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة ولم يَخْشَ إلا الله﴾ [التوبة: ١٨]. الآية (٢).

وقوله: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمَنّا باللهِ فاذا أُوذِيَ في اللهِ جَعلَ فِتنةَ الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠]. الآية (٣).

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يحوف أولياءه، فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين جنده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه ونهانا أن نخافهم. قال: والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم بأوليائه، قال قتادة يعظمهم في صدوركم، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكالما ضعف ايمانه قوي خوفه منهم، فدلت هذه الآية على أن الخلاص من الخوف من كمال شروط الايمان. وسبب نزول الآية مذكور في التفاسير والسير.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ الآية. أخبر تعالى أن مساجد الله لايعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة، قوله: «ولم يخش إلا الله» قال ابن عطية: يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الانسان يخشى المحاذير الدنيوية، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصرفه. قلت: لأن النفع والضر انما يكون بمشيئته وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: والخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله، كالذل والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب. قوله: ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: إن أولئك هم المهتدون. وكل «عسى» في القرآن فهي واجبة.

(٣) قوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ قال =

عن أَبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا «إِنَّ من ضَعْفِ اليقينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله ، وأَن تحمدَهم على رزْقِ الله ، وأَنْ تَذُمَّهم على ما لم يُؤتِكَ الله . إِنَّ رزق اللهِ لا يجرهُ حِرْصُ ، ولا يَرُدُّهُ كراهِيَةُ كارِهٍ»[1] .

= ابن القيم : الناس إذا أرسل اليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم آمنا ، وإما أن لا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر. فمن قال آمنا امتحنه ربه وابتلاه، والفتنة الابتلاء والاختبار، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان ، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة. والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة. والمعرض عن الايمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير له الألم الدائم. والانسان لابد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم تصورات وإرادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم -إلى أن قال- فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية : من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مئونة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً . فمن هداه الله والهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كنت للرسل وأتباعهم . ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الايمان وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه ، وهو الألم الذي لابد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ، جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان . فالمؤمنون -لكمال بصيرتهم- فروا من ألم عذاب الله الى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب . وهذا -من ضعف بصيرته- فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ، ففر من الم عذابهم إلى ألم عذاب الله ، فجعل ألم فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله ، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار ، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد . وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إني كنت معكم ، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق . ا . هـ.

(١) قوله : عن أبي سعيد مرفوعاً «إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على مالم يؤتاك الله . إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا ترده كراهية كاره» هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال : ضعيف ، وتمام هذا الحديث «وإنه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط» قوله : «إن من ضعف اليقين» الضعف يضم =

وعن عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَنِ الْتَمَسَ رِضىٰ اللهِ بسَخَطِ الناس رَضِيَ اللهُ عنهوأرضىٰ عنهالناس، ومَن التمسَ رِضىٰ

= ويحرك ضد القوة، قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان. قوله: «أن ترضى الناس بسخط الله» أي أن تؤثر رضاهم على ما يرضى الله، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلب. وبهذا الاعنبار يدخل في نوع من الشرك لأنه آثر رضى المخلوق على رضى ربه، وتقرب اليه بما يسخط الله، ولايسلم من هذا إلا من سلمة الله تعالى.
قوله: «وأن تحمدهم على رزق الله» أي على ما وصل اليك من أيديهم بأن تضيفه اليهم وتحمدهم عليه، والله تعالى هو الذي كتبه لك وسيره لك، فاذا أراد أمراً قيض له أسباباً. ولا ينافي هذا الحديث «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث «من صنع اليكم معروفاً فكافئوه، فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» قوله: «وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله» لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قدر ساقه اليك. فمن علم أن الله وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا من الله وحده، ولا يرغب إلا اليه ولا يخاف إلا من ذنبه، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله: «ان رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره». وقال شيخ الاسلام: اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته. ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره. فاذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فانه إنما يحمل الانسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لم يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فانك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وأرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين. وأما إذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فانه ما شاء كان وما لم يشاء لم يكن، فاذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم، ودل الحديث على أن الايمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الايمان.

الناس بسَخَط الله سَخِطَ اللهُ عليه وأَسْخَطَ عليه الناس» رواه ابن حبَّان في صحيحه [1].

فيه مسائل: (الأولى) تفسير آية آل عمران. (الثانية) تفسير آية براءَة (الثالثة) تفسير آية العنكبوت. (الرابعة) أن اليقين يضعف ويقوى. (الخامسة) علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث. (السادسة) أن إخلاص الخوف لله من الفرائض. (السابعة) ذكر ثواب من فعله. (الثامنة) ذكر عقاب من تركه.

---

(١) قوله: «وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه». قوله: «من التمس» أي طلب، قال شيخ الاسلام: وكتبت عائشة إلى معاوية، ويروى أنها رفعته «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه شيئاً» هذا لفظ المرفوع. ولفظ الموقوف: من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاماً. وهذا من أعظم الفقه في الدين، فان من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٣]. والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب. ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً، كالظالم الذي يعض على يديه. وأما كون حامده ينقلب ذاماً فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة، فان العاقبة للتقوى، لا تحصل ابتداء عند أهوائهم. انتهى.

٣٣ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿وعلى اللهِ فَتَوكَّلُوا إنْ كنتمْ مُؤمِنين﴾ [المائدة: ٢٣]. [(١)] وقولِهِ: ﴿إنَّما المؤمنونَ الذينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلتْ قلوبهم﴾ [الأنفال: ٢]. الآية [(١)]. وقولِهِ ﴿يا أيُّها النبي حَسْبُكَ اللهُ﴾ [الأنفال:

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾. قال أبو السعادات: يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به. وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله، لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة، فان تقديم المعمول يفيد الحصر، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية. قال الإمام أحمد: التوكل عمل القلب. قال ابن القيم في الآية المترجم بها: فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الايمان عند انتفائه. قال شيخ الاسلام: وما رجا أحد مخلوقاً أوتوكل عليه الا خاب ظنه فيه، فانه شرك ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١]. اهـ. والتوكل قسمان: أحدهما التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله ـ كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت ـ فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه. وأما التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر. والمباح أن يوكل شخصا بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه كالبيع والشراء والاجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك. فهذا جائز بالاجماع، لكن لا يقول «توكلت عليه» بل يقول «وكلته» فانه لو وكله فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ الآية قال ابن عباس في الآية: المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند اداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا. ولا يؤدون زكاة اموالهم. فأخبر تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ فأدوا فرائضه، رواه ابن جرير وابن ابي حاتم. وقال السدي في قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾: هو الرجل يريد أن يظلم ـ أو قال يهم بمعصية ـ فيقال له: اتق الله، فيوجل قلبه. رواه ابن أبي شيبة وابن جرير. قوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾ استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه. قوله: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي يعتمدون عليه، ويفوضون اليه أمورهم، فلا يرجون سواه، =

٦٤]. الآية [١]. وقولهِ: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ على اللهِ فهو حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣] [٢].

عن ابن عباس قال: ﴿حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل﴾ [آل عمران: ١٧٣]. قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقيَ في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿إن الناسَ قد جمَعُوا لكم فاخْشَوْهُم فزادَهم إيمانا﴾ [آل عمران: ١٧٣]. الآية. رواه البخارى والنسائي [٣].

= ولا يقصدون إلا إياه، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدنيوية والأخروية. وفي الآية وصف المؤمنين حقا بثلاث مقامات من مقامات الإيمان تستلزم حصول أعمال الإسمان الواجبة والمستحبة.

(١) قوله: ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ قال ابن القيم: أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد، وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ قال ابن القيم وغيره: أي كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً. قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي كافيه، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل له مخرجا وكفاه ونصره، انتهى.

(٣) قوله: وعن ابن عباس قال: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا﴾ الآية رواه البخاري. قوله: ﴿حسبنا الله﴾ تقدم معناه. قوله: ﴿ونعم الوكيل﴾ أي نعم من توكل عليه المتوكلون، ومخصوص «نعم» محذوف تقديره نعم الوكيل الله. قوله: قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار. قال تعالى: ﴿قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ الآية قوله وقالها محمد ﷺ حين قالوا له إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، وذلك بعد =

فيه مسائل: (الاولى) أن التوكل من الفرائض. (الثانية) أنه من شروط الايمان. (الثالثة) تفسير آية الانفال. (الرابعة) تفسير الآية في آخرها. (الخامسة) تفسير آية الطلاق. (السادسة) عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد.



= منصرف قريش والأحزاب من أحد، فمر بهم ركب من عبد القيس فقالوا: أين تريدون؟ قالوا: نريد المدينة. قالوا: هل أنتم مبلغون عنا محمداً رسالة؟ قالوا: نعم. فاذا وافيتموه فأخبروه أنا قد جمعنا السير اليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم. فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان. فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل» وفي الحديث «إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل».

٣٤ - باب

قولِ الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَنُ مكر اللهِ إلاَّ القومُ الخاسِرون﴾ [الأعراف: ٩٩]. (١) وقولِهِ: ﴿ومَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحمةِ ربِّهِ إلاَّ الضالُّون﴾ [الحجر: ٥٦]. (٢).

عن ابن عباس: أَن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر فقال «الشِّركُ بالله، واليأْسُ من رَوْحِ الله، والأَمنُ من مَكرِ الله» (٣).

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿أفأمنوا مكر الله، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾. أراد المصنف رحمه الله تعالى أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات، وفعل من المحرمات، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك، وهذا من أعظم الذنوب، وأجمعها للعيوب، ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً، قال الحسن: من وسع عليه فلم يرأنه يمكر به فلا رأى له، وقال قتادة: بغت القوم أمر الله، وما أخذ قوم قط إلا عند سلوتهم وغرتهم، فلا تغتروا بالله. وقال اسماعيل بن رافع: من الامن من مكر الله اقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة. رواه ابن أبي حاتم.

(٢) قوله: ﴿ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ القنوط استبعاد الفرج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلا الأمرين ذنب عظيم، لما في القنوط من سوء الظن بالله. قوله: ﴿إلا الضالون﴾ أي عن الهدى.

(٣) قوله: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال «الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله» هذا الحديث رواه البزار وابن ابي حاتم من طريق شبيب بن بشر، قال ابن معين ثقة، ولينه ابن أبي حاتم، وقال ابن كثير: في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفاً. قوله: «الشرك بالله» هو أكبر الكبائر، ولهذا بدأ به. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الشرك هضم للربوبية، وتنقص للإلهية، وسوء ظن برب العالمين. انتهى. قوله: «واليأس من روح الله» أي قطع الرجاء والأمل من الله تعالى فيما يخافه ويرجوه، وذلك إساءة ظن بالله وجهل به وسعة رحمته وجوده ومغفرته. قوله: «والأمن من مكر الله» أي من استدراجه للعبد =

وعن ابن مسعود قال: أَكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله، والأَمنُ من مَكر الله والقُنوطُ من رَحمةِ الله، واليأْسُ من رَوْحِ الله. رواه عبد الرزاق (١).

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية الاعراف. (الثانية) تفسير آية الحجر (الثالثة) شدة الوعيد فيمن أَمن مكر الله. (الرابعة) شدة الوعيد في القنوط.



=وسلبه ما أعطاه من الايمان نعوذ بالله من ذلك، وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر، فهي كثيرة جداً نسأل الله اجتنابها، وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير، وقد وقع فيها الكثير قديماً وحديثا، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

(١) قوله: «وعن ابن مسعود قال: أكبر الكبائر الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله. رواه عبد الرزاق» قوله: «والقنوط من رحمة الله» قال أبو السعادات: هو أشد اليأس، وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فاذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب. قال تعالى: ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [الملك: ١٢]. وقال: ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ [النور: ٣٧].

٣٥ ـ باب

مِنَ الإيمان باللهِ الصبرُ على أَقْدارِ الله[١]

وقولِ الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤمِنْ باللهِ يَهْدِ قلبه﴾ [التغابن: ١١]. [٢]

قال عَلْقَمَةُ: هوَ الرجلُ تصيبه المصيبةُ فيعلمُ أَنَّها من عند الله فيرضىٰ ويُسَلِّم [٣].

وفي صحيح مسلم عن أَبي هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعنُ في النسب، والنياحةُ على الميت [٤].

(١) قوله: «باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله». قال الإمام أحمد: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه. وفي الحديث الصحيح «الصبر ضياء» رواه أحمد ومسلم قال عمر رضي الله عنه «وجدنا خير عيشنا بالصبر» رواه البخاري. قال علي رضي الله عنه «إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد» ثم رفع صوته فقال: «إنه لا إيمان لمن لا صبر له». وأعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام: صبر على ما أمر الله به. وصبر عما نهى الله عنه وصبر على ما قدر الله من المصائب: زاد شيخ الاسلام: والصبر على الأهواء المخالفة للشرع.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ وأول الآية: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ أي بمشيئته وإرادته كما قال في الآية الأخرى ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير﴾ [الحديد: ٢٢].

(٣) قوله: «قال علقمة: هو الرجل تصيبه فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم» هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وروى عن ابن مسعود. وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، وهو من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، مات بعد الستين. وفي هذا الأثر دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان، وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب.

(٤) قوله: وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» أي هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية، وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلمه الله. فأطلق الكفر على من قامت به =

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا «ليس منَّا من ضربَ الخُدود، وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية [(١)]».

وعن أنس أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا أَراد الله بعبده الخيرَ عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا، واذا أَراد بعبدِه الشر أَمسكَ عنه بذِنْبه حتى يُوافىَ به يومَ القيامة» [(٢)] وقال النبي ﷺ «إنَّ عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاءِ، وإنَّ الله

= خصلة من هاتين الخصلتين، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً الايمان المطلق، ففرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله: «ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة» وبين كفر منكر في الاثبات. قوله: «الطعن في النسب» أي عيبه ويدخل فيه أن يقال: هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه. قوله: «والنياحة على الميت» أي رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر.

(١) قوله: ولهما عن ابن مسعود مرفوعا «ليس منا من ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية». قوله: «من ضرب الخدود» قال الحافظ: خص الخد لكونه الغالب وإلا فضرب بقية الوجه مثله، قوله: «ودعا بدعوى الجاهلية» قال شيخ الاسلام: هو ندب الميت. وقال ابن القيم: الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية. ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه. فكل هذا من دعوى الجاهلية، وقد يعفى عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقا كما يعفى عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط، نص عليه أحمد.

(٢) قوله: وعن أنس أن رسول رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة» هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي. قوله: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا» قال شيخ الاسلام: المصائب نعمة، لأنها مكفرات للذنوب، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها، وتقتضي الإنابة إلى الله تعالى والذل له والإعراض عن الخلق، الى غير ذلك من المصالح. فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا، وهذا من أعظم النعم، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاص أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا عليه من جهة ما أصابه في دينه. فان من الناس من إذا ابتلى بفقر أو مرض أو جوع حصل له ـ من

تعالى إذا أَحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رَضِي فله الرِّضا، ومن سَخِط فله السخط» حسّنه الترمذي [1]

فيه مسائل: (الأَولى) تفسير آية التغابن. (الثانية) أَن هذا من الايمان بالله (الثالثة) الطعن في النسب. (الرابعة) شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية. (الخامسة) علامة ارادة الله بعبده الخير. (السادسة) علامة حب الله للعبد. (الثامنة) تحريم السخط. (التاسعة) ثواب الرضا بالبلاءِ.

= الجزع والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ـ ما يوجب له ضرراً في دينه. فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة، لأ من جهة نفس المصيبة. كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق، والله تبارك وتعالى محمود عليها، فمن ابتلى فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه، وحصل مع ما كفر من خطاياه رحمة، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه، قال تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ [البقرة: ١٥٧]. وحصل له غفران السيئات، ورفع الدرجات، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك: ا هـ ملخصاً.

(١) قوله: وقال النبي ﷺ «إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وان الله تعالى إذا أحب قوماً إبتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط» حسنه الترمذي. قوله: «ان عظم الجزاء» بكسر العين وفتح الظاء فيهما، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء. قال ابن القيم: ان عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب فانه حينئذ يثاب على ما تولد منها وهو ظاهر قوله: «وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم» وفي الحديث: سئل النبي ﷺ: أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه، فان كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة» رواه الدارمي وابن حاجه والترمذي وصححه. قوله «من رضي فله الرضا» أي من الله «ومن سخط فله السخط» كذلك.

٣٦ - باب

ما جاءَ في الرِّياء(١)

وقولِ الله تعالى: ﴿قلْ إنَّما أنا بَشَرٌ مثلُكم يُوحىٰ إليَّ أَنَّما اِلٰهُكم إِلٰهٌ واحد﴾ [الكهف: ١١٠]. الآية (٢).

عن أَبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى: «أَنا أَغْنىٰ الشُّرَكاءِ عن الشرك، من عَمِلَ عملاً أَشْرَكَ معي فيه غيري تَرَكْتُه وشِرْكَه». رواه مسلم (٣).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في الرياء» أي من النهي عنه والتحذير.

(٢) قوله: وقول الله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد﴾ أي ليس لي من الربوبيه ولا من الإلهية شيء، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له أوحاه اليّ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ ويخافه ﴿فليعمل صالحاً، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال شيخ الاسلام: أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة، وقالوا: لقاء الله يتضمن رؤ يته سبحانه وتعالى يوم القيامة. وذكر الأدلة على ذلك. قال ابن القيم في الآية: أي كما أنه إله واحد لا إله إلا هو فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له. فكما تفرّد بالإلهية يجب أن ينفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء، المقيد بالسنة!ا.هـ. فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله، قليله وكثيره.

(٣) قوله: عن أبي هريرة مرفوعاً: قال الله تعالى: ﴿أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه﴾ رواه مسلم. قوله: «من عمل عملا أشرك معي فيه غيري» أي قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه، قال الطيبي: الضمير المنصوب في قوله: «تركته» يجوز أن يرجع إلى العمل. قال ابن رجب: وأعلم أن العمل لغير الله أقسام: فتارة يكون رياء محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى: ﴿يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ [النساء: ١٤٢] وهذا الرياء المحض لايكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز. وهذا العمل لايشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة. وتاره يكون العمل لله ويشاركه الرياء، فان شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه. وذكر أحاديث تدل على ذلك: منها هذا الحديث، وحديث شدادبن أوس =

وعن أَبي سعيد مرفوعاً «أَلا أُخبرُكم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجّال»؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال «الشرْكُ الخفِّي، يقومُ الرجلُ فيصلِّي، فيُزَيِّن صَلاتَه لما يَرَى مِن نظَر رَجُلٍ» رواه أَحمد (١).

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية الكهف. (الثانية) الامر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله. (الثالثة) ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى. (الرابعة) أَن من الاسباب أَنه خير الشركاءِ. (الخامسة) خوف النبي ﷺ علىٰ أَصحابه من الرياءِ. (السادسة) أَنه فسر ذلك بان المرءَ يصلي لله لكن يزينها لِما يرى من نظر رجل اليه.

= مرفوعاً: «من صلى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك. وأن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بي، فمن أشرك بي شيئاً فان جدة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني» رواه أحمد. قال الامام أحمد فيمن يأخذ جعلا على الجهاد: إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس، كأنه خرج لدينه فان أعطى شيئاً أخذه ـ ثم قال ـ وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فان كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف. وان استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازى على أصل نيته؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الامام أحمد وابن جرير ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى، وهو مروى عن الحسن وغيره.

(١) قوله: وعن أبي سعيد مرفوعا: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال»؟ قالوا: بلى. قال: «الشرك الخفيّ، يقوم الرجل فيصلي، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل» رواه أحمد. قوله: «عن أبي سعيد» هو الخدري وتقدم، قوله: «الشرك الخفي» سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد غيره أو شركة فيه بتزيين صلاته لأجله، ولا خلاف أن الاخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، وكذلك المتابعة، قال ابن القيم: وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا الله وأنت. وأنا متوكل =

٣٧ - باب

مِنَ الشركِ إرادة الإنسان بعمله الدنيا[(١)]

وقولِ الله تعالى: ﴿من كان يُرِيدُ الحياةَ الدنيا وزِينتها نُوَفِّ اليهم أعمالهم فيها﴾ [هود: ١٥ - ١٦]. الآيتين [(٢)].

في الصحيح عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ تَعِسَ عبدُ الدِّينار، تعسَ عبدُ الدِّرْهم، تعسَ عبد الخَمِيصة، تعسَ عبدُ الخَمِيلة: إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لم يُعْطَ سَخِط. تعسَ وانتَكَسَ، واذا شِيكَ فلا

= على الله وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا. وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده ا. هـ.

(١) قوله: «باب من الشرك إرادة الانسان بعمله الدنيا». أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر الدنيا، وقد وقع ذلك كثيراً حتى أن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك.

(٢) قوله: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نُوفّ اليهم أعمالهم فيها» الآيتين، قال ابن عباس (من كان يريد الحياة الدنيا) أي ثوابها (وزينتها) أي مالها (نوف) نوفر (لهم ثواب أعمالهم) بالصحة والسرور في المال والأهل والولد (وهم فيها لايبخسون) لا ينقصون ثم نسختها (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) الآية [الاسراء: ١٨]، رواه البخاري في تاريخه. وأخرج ابن جرير بسنده المتصل عن شفي بن ماتع عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ان الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية. فأول من يدعو به رجل قد جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله تعالى للقارىء: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان قارىء، فقد قيل. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك =

انْتَقَش⁽¹⁾. طوبي لعبدٍ آخذٍ بعنانِ فَرَسِهِ في سبيلِ الله، أشعثَ رأسُه، مغبرةٍ قَدَماه، ان كان في الحِراسةِ كان في الحراسة، وان كان في الساقةِ

= حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم، وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: فيماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك، فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله لهُ: كذبت وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جزيء، وقد قيل ذلك» ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»

(١) قوله: في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدينار، تعس عبد الخمبصة، تعس عبد الخميلة: ان أعطى رصى. وإن لم يعط سخط. تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه؛ إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع». قوله: «في الصحيح» أي صحيح البخاري. قوله: «تعس» هو بكسر العين ويجوز الفتح، أي سقط. والمراد هنا هلك، قاله الحافظ، وقال أبو السعادات: يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك. قوله: «تعنس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم» سماه عبداً لكونه هو المقصود بعمله فصار عبداً له لأنه عبده بذلك العمل. قوله: «تعس عبد الخميصة» قال أبو السعادات: هي ثوب خز أو صوف معلم، و«الخميلة» بفتح الخاء المعجمة قال أبو السعادات ذات الخمل، ثياب لها خمل من أي شيء كان. المراد كل ما كان من الدنيا نقداً أو عرضاً، لأنه ذكر النوعين. قال أبو السعادات: أي انقلب على رأسه، وهو دعاء عليه بالخيبة. قوله: «وإذا شيك فلا انتقش» أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالمناقيش، قاله أبو السعادات. قال شيخ الاسلام: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة، وذكر ما فيه وهو دعاء عليه بلفظ الخبر وهو قوله: «تعس وانتكس» فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه. وهذه حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه إن أعطى رضى، وإن منع سخط، فرضاه لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك، وهو رقيق له. إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده. إلى أن قال: وهكذا أيضا حال من طلب المال، فان ذلك يستعبده ويسترقه، وهذه الأمور نوعان: فمنها ما يحتاج اليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو =

كان في الساقَةِ، إنِ استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له، وان شَفَعَ لم يُشفَع[1]».

فيه مسائل: (الاولى) ارادة الانسان الدنيا بعمل الآخرة. (الثانية) تفسير آية هود. (الثالثة) تسمية الانسان المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة. (الرابعة) تفسير ذلك بانه إن أُعطي رضى وإن لم يعط سخط. (الخامسة) قوله: «وانتكس». (السادسة) قوله: «وإذا شيك فلا انتقش». (السابعة) الثناءُ على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

= ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب اليه فيه، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه، من غير أن يستعبده فيكون هلوعا ومنها ما لايحتاج اليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه به، فاذا تعلق قلبه صار مستعبداً ومعتمداً على غير الله فلايبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل على الله، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله، وشعبة من التوكل على غيره، وهذا أحق الناس بقوله ﷺ: «تعس عبد الدرهم، تعس عبد الدينار، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة» وهذا عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله، فان الله إذا أعطاه إياها رضى وان منعه إياها سخط، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله، ويسخطه ما يسخط الله. ويحب ما أحب الله ورسوله، ويبغض ما أبغض الله ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله. فهذا الذي استكمل الإيمان. ا. هـ. ملخصاً.

(١) قوله « طوبى لعبد » روى الامام أحمد عَنْ حسن بن موسى قال: سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك. قال « طوبي لمن رآني وآمن بي، ثم طوبي ثم طوبي ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني » . قال له رجل: وما طوبى؟ قال: « شجرةفي الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامهم » له شواهد في الصحيحين وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ههنا أثراً غريبا عجيباً، قال وهب: إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها. زهرها رياط وورقها برود. وقضبانها عنبر. وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور. ووحلها مسك، يخرج من أصلها أنها الخمر واللبن والعسل. وهي مجلس لأهل الجنة. فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجباً مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المرْعزَّى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، وذفوفها من ذهب، وثيابها من سندس واستبرق، فينيخونها ويقولون: =

ان ربنا ارسلنا اليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها، قال : فهي أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفراش، خبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبها، ولا برك راحلة برك الأخرى ، حتى أن الشجرة لتنتحي عن طريقهم لئلاتفرق بين الرجل وأخيه. قال فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فاذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام . قال فيقول تبارك وتعالى عند ذلك « أنا للسلام ، ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي مرحبا بعبادي الذين خشوني بالغيب، وأطاعوا أمرى » قال فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا بالسجود قدامك. قال فيقول الله « إنها ليست دار عبادة ولا نصب ، ولكنها دار ملك ونعيم. وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة فسلوني ما شئتم ، فان لكل رجل منكم أمنيته » فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول رب تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا، رب فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا. فيقول الله تعالى « لقد قصرت بك أمنيتك ، ولقد سألت دون منزلتك. هذا لك منى لأنه ليس في عطائي نكد، ولا قصر يد » . قال ثم يقول « اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم التي في أنفسهم » فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة، على كل أربعة منها سرير من ياقوته واحدة ، على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة ، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة ، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة ، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا طيب إلا قد عبق بهما. ينفذ ضوء وجوههما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة ، يرى فحمهما من فوق كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء . يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو فضل ، ويرى لهما مثل ذلك ، ثم يدخل اليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له ما ظننا أن الله يخلق مثلك. ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له ا.هـ.

قوله « أشعث » مجرورة بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، و« رأسه » مرفوع على الفاعلية ، وهو طائر الشعر، شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر. قوله « مغبرة قدماه » هو بالجر صفة ثانية لعبد. قوله « ان كان في الحراسة » أي حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم. قوله « كان في الحراسة » أي غير مقصر فيها ولا غافل. قوله « وإن كان في الساقة كان في الساقة » أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم. قال الخلخالي : المعنى إئتماره بما أمر، وإقامته حيث أقيم. لا يفقد من مكانه . وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة . قوله « ان استأذن لم يؤذن له » أي استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له ، لأنه لاجاه له عندهم ولا منزلة لأنه ليس من طلابها. =

. . . .

= وإنما يطلب ما عند الله . قوله « وإن شفع لم يشفع » يعني لو الجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم وعن عثمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « حرس ليلة في سبيل الله أفضل من الف ليلة يصام نهارها ويقام ليلها » .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك (*)
هذه الأبيات بطرسوس وواعده الخروج (**)
وأرسلها معه إلى الفضيل في سنة سبعين ومائة :

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا ... وهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوى غبار خيل الله في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت . لا يكذب

قال فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت عيناه فقال : صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم . قال لي : أكتب هذا الحديث . فأملى عليّ الفضيل بن عياض: حدثنا منصوربن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلا قال : يا رسول الله . علمني عملا أثاب به ثواب المجاهدين في سبيل الله . فقال: « هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر » ؟ قال : يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي ﷺ « فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهد في سبيل الله. أما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات »

(*) سقط هنا من الأصل كلام لعله (أنه أملى . . . وأنشده)

(**) أي الخروج للمرابطة والجهاد في الثغور الشامية كالمصيصة وغيرها .

وقوله « وأرسلها » كانت في الاصل « وأنشدها » والظاهر أنه تحريف . وترجمة ابن المبارك في تاريخ ابن عساكر تقع بعد الأجزاء المطبوعة . وقد راجعنا الأجزاء المخطوطة منه بمكتبة الازهر فتبين لنا أن الجزء الذي فيه ترجمة ابن المبارك مفقود.

٣٨ ـ باب

مَنْ أَطاعَ العلماءَ والأُمراءَ في تحريم ما أَحلَّ الله أَو تحليل ما حرَّمه فقد اتَّخذَهم أَرباباً(١)

وقال ابنُ عباس: يُوشِكُ أَن تنزلَ عليكم حِجارةٌ من السماءِ، أَقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: أَبو بكر وعمر (١). وقال أَحمدُ بن حَنْبَل: عَجِبْتُ لقوم عَرَفوا الإسنادَ وصِحَّتَه، يذهبون الى رأْي سُفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفونَ عن أَمره أَنْ تُصِيبَهم فِتنةٌ أَو يُصِيبَهم عَذابٌ أَلِيم﴾ [النور: ٦٣]. أَتدري ما الفتنة؟ الفتنةُ الشرك، لعله إِذا ردَّ بعض قوله أَن يقعَ في قلبه شيءٌ من الزَّيْغ فيهلك (٣).

---

(١) قوله « باب من أطاع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فقد اتخذهم أربابا» فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾ [الأحزاب : ٦٧] .

(٢) قوله « وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر » . قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد . وقال الامام مالك رحمه الله تعالى : ما منا إلا رادّ ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر ﷺ . وعن ابن عباس رض الله عنهما قال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع ، غير النبي ﷺ.

(٣) قوله « وقال الإمام أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليهم ﴾ أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك » . قال الإمام أحمد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاث وثلاثين موضعا ، ثم جعل يتلو ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ . وسفيان هو الثورى الامام الزاهدالعابد الثقة الفقيه، وكان له أصحاب يأخذون عنه =

عن عَدِيِّ بن حاتم أَنه سمعَ النبي ﷺ يقرأُ هذه الآية ﴿اتَّخَذُوا أَحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون الله﴾ الآية[التوبة: ٣١]. فقلت له إنَّا لسنا نعبُدهم، قال: «أَليس يُحرِّمون ما أَحلَّ الله، فتحرمونه. ويُحِلون ما حرَّم الله، فتحلُّونه؟ فقلت: بلىٰ. قال: فتلك عبادتهم» رواه أَحمد والترمذي وحسنه (١).

= ومذهبه مشهور. وقد عمت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد، خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد، والاجتهاد قد انقطع. وقد أخطأوا في ذلك، وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي على حق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك» على أن الإجتهاد لا ينقطع. وحكى ابن عبد البر الاجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم، والآئمة لم يقصروا في البيان، بل نهوا عن تقليدهن إذا استبانت السنة. قال أبو حنيفة: إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة رضى الله عنهم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال. وقال إذا قلت قولاً، وكتاب الله يخالفه، فاتركوا قولي لكتاب الله تعالى. قيل: إذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ. قيل إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال: ارتكوا قولي لقول الصحابة. وتقدم قول الإمامين مالك والشافعي فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في أقوال المخالفين وما استدلوا به فيكون متبعاً للدليل مع من كان معه. وبالله التوفيق.

(١) قوله: عن عدى بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم﴾ الآية. فقلت: إنا لسنا نعبدهم. قال «أليس يحرّمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه»؟فقلت: بلى. قال «فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه.

قوله «عن عدى بن حاتم» أي الطائي المشهور بالسخاء والكرم، قدم عدى على رسول الله ﷺ في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه، وفيه دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله.

قال شيخنا في المسائل« فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمونها الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية النور. (الثانية) تفسير آية براءَة. (الثالثة) التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي. (الرابعة) تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان. (الخامسة) تغير الاحوال الى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية.. وعبادة الأحبار هي انعلم والفقه، ثم تغيرت الاحوال الى ان عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين.



= الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين » وعن زياد ابن حيدر قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الاسلام ؟ قلت لا . قال: يهدمه زلة العالم وجدل المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين، رواه الدرامي. جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، فكم ضل من ضل ، وزل من زل.

٣٩ ـ باب

قولِ الله تعالى : ﴿أَلم تَرَ إلى الذين يَزْعُمون أَنَّهم آمَنوا بما أُنزل اليك وما أُنزِلَ من قَبْلِكَ يُريدون أَن يَتحاكموا الى الطَّاغُوت (١)، وقد أُمروا أَن

(١) قوله :« باب قول الله تعالى : ﴿ألم تر إلي الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قلبك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ الآية . قال العماد ابن كثير : والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل، وهو المراد بالطاغوت ههنا، وكل من عبد شيئاً دون الله بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فانما عبد الطاغوت، فان كان المعبود صالحا كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزنها له كما قال تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾[سبأ:٤١٠]وقال تعالى﴿ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون. فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ [يونس : ٢٨] والآية بعدها ، وان كان ممن يدعو الى عبادة نفسه كالطواغيت، أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناما على صورة الصالحين والملائكة اوغير ذلك، فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائنا من كان. فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني ﴾الآية [الزخرف: ٢٦]، فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى. هذا معنى لا إله إلا الله كما تقدم في قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ . وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو مع الجهل بذلك أو طلب ذلك أن يتبع عليه أو أطاعه فيما لا يعلم أنه حق إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقا أم لا فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة، فاذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلا الله، قوله : ﴿ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بَعيداً ﴾ أي بعيداً عن الهدى، ففي هذه الآية أربعة أمور: (الاول) أنه من إرادة الشيطان (الثاني) أنه ضلال (الثالث) تأكيده بالمصدر (الرابع) وصفه بالبعد عن سبيل الحق =

يكفروا به، ويريدُ الشيطانُ أن يُضِلَّهم ضلالا بعيدا﴾ الآيات [النساء: ٦٠]. وقوله: ﴿وإذا قِيلَ لهم لا تُفْسدوا في الارضِ قالوا إنما نحنُ مُصْلِحون﴾ [البقرة: ١٢]. (١). وقوله: ﴿ولا تُفْسِدوا في الأرض بعد إصلاحِها﴾ [الأعراف: ٥٦: ٨٥]. . وقوله: ﴿أَفحُكْم الجاهلِيَّة

= والهدى. فسبحانه الله ما اعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره، وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما.

وقوله: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً﴾ فان المنافق يكره الحق وأهله ويهوى ما يخالفه من الباطل، وهذه حال أهل النفاق. قال العلامه ابن القيم: هذا دليل على ان من دعى إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين. قلت: فما أكثرهم لاكثرهم الله. قال ﴿ويصدون﴾ لازم وهو بمعنى يعرضون لأن مصدره «صدوداً» فما أكثر من اتصف بهذا الوصف. خصوصا من يدعي العلم، فانهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطىء كثيراً ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل فصار المتبع للرسول ﷺ من أولئك غريب، وقد عمت البلوى بهذا.

(١) قوله: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ قال أبو العالية في الآية: يعني لا تعصوا في الأرض، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض، لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله. ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين، وهو من الفساد في الأرض وفي الاية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى.

(٢) قوله: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ قال أبو بكر بن عياش في الآية: إن الله بعث محمداً ﷺ إلى أهل الأرض وهم في فساد، فأصلحهم الله بمحمد ﷺ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض. قال ابن القيم: قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله. بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله. فان عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع، والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا. =

يَبْغون﴾ [المائدة: ٥٠]. الآية (١). عن عبد الله بن عمرو أَن رسولَ الله ﷺ قال: «لا يؤمنُ أَحدُكم حتى يكونَ هَواهُ تبعاً لما جئُت به» قال النَّوَوي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة باسناد صحيح (٢).

= ولا طاعة، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله، وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسلط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله. انتهى. وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة.

(١) قوله: «وقول الله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ الآية» قال ابن كثير: ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المشتمل على كل خير والنهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والاهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجل بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكزخان الذي وضع لهم كتابا مجموعاً من أحكام اقتسبه من شرائع شتى، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير. قوله: ﴿ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾ [المائدة: ٥٠] استفهام انكار، أي لا حكم أحسن من حكمه. وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي ومن أعدل من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه، وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء الحكيم في أقواله وشرعه وقدره.

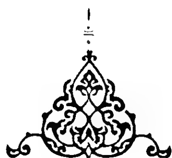
(٢) قوله: عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» قال النووي: حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب (الحجة على تارك المحجة) بإسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي، ورواه الطبراني وأبو بكر بن عاصم والحافظ أبو نعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار، وشاهده في القرآن قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[النساء ٦٥] وقوله ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾[الأحزاب: ٣٦]وقوله: ﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم﴾[القصص: ٥٠]ونحو هذه الآيات، قوله«حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» الهوى بالقصر أي ما تهواه وتحبه نفسه. فان كان الذي يحبه وتميل اليه نفسه =

وقال الشَّعْبيّ: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خَصومة، فقال اليهودي: نتحاكم الى محمد ـ عَرفَ أنه لا يأخذ الرِّشوة ـ وقال المنافق: نتحاكم الى اليهود. لعلمه أنهم يأْخذون الرشوة. فاتفقا أن يأْتيا كاهنا في جُهَينة فيتحاكما اليه، فنزلتْ ﴿أَلم تَرَ إلى الذين يَزْعُمون﴾ الآية وقيل نزلتْ في رجُلين اختصما فقال أَحدهُما: نترافع الى النبي ﷺ، وقال الآخر: الى كعب بن الاشرف. ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أَحدهما القصة، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ: أَكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله (١).

=ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ لا يخرج عنه إلى ما يخالفه فهذه صفة أهل الإيمان المطلق الذي يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار، وان كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب، فيطلق عليه مؤمن بقيد، لنقص إيمانه بالمعصية كما في حديث أبي هريرة « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن »فيكون مسلما ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصح إسلامه إلا به، وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر، وهذا هو الذي يذهب اليه أهل السنة والجماعة. خلافاً للخوارج والمعتزلة، فان الخوارج يكفرون بالذنوب، والمعتزلة لا يطلقون عليه الايمان ويقولون بتخليده في النار، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك مادل عليه الكتاب والسنة وقد قال تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾[النساء: ٤٨، ١١٦] فقيد مغفرة مادون الشرك بالمشيئة، وتواترت الاحاديث بما يحقق ماذهب اليه أهل السنة، فقد أخرج البخارى وغيره عن أنس عن النبيﷺ قال « يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا اله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير.

(١)قوله: وقال الشعبي كان بين رجل من المنافقين وبين رجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة. فاتفقا على أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه. فنزلت ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك﴾ الاية. وقيل نزلت في رجلين اختصما، فقال =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية النساءِ وما فيها من الاعانة على فهم الطاغوت. (الثانية) تفسير آية البقرة ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض﴾. (الثالثة) تفسير آية الاعراف ﴿ولا تفسدوا في الارض بعد إصلاحها﴾. الرابعة تفسير ﴿أَفحكم الجاهلية يبغون﴾. (الخامسة) ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الاولى (السادسة) تفسير الايمان الصادق والكاذب (السابعة) قصة عمر مع المنافق (الثامنة) كون الايمان لا يحصل لأَحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاءَ به الرسول ﷺ



= أحدهما: نترافع إلى النبي. وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرضى برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم. فضربه بالسيف فقتله. وفي قصة عمر وقتله المنافق ـ الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف ـ دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق. وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي ﷺ والأذى له والاظهار لعداوته، فانتقض به عهده، وحل به قتله. وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسير وغيرها.

٤٠ ـ باب

من جَحَدَ شيئاً من الأَسماء والصفات

وقولِ الله تعالى: ﴿وهم يَكْفُرونَ بالرحْمن﴾ [الرعد: ٣٠]. الآية(١).

(١) قوله: «باب من حجد شيئا من الأسماء والصفات، وقول الله تعالى: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الآية» سبب نزول الآية معلوم، وهو أن قريشاً جحدوا اسم «الرحمن» عناداً، قال تعالى ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾[الاسراء: ١١٠] فالرحمن اسمه وصفته، فالرحمة وصفه القائم به، فاذا كان المشركون حجدوا اسماً من أسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظة، فان الجهمية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة، فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائيّ الإمام حكاه عنـ ... ـهم، بل حكاه قبله الطبراني

فان هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسد أصلوه من عند أنفسهم، ولم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات. فشبهوا أولا، وعطلو ثانيا، وشبهوا ثالثاً. بكل ناقص أو معدوم، فتركوا مادل عليه صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]. وقد صنف أئمة السنة ـ لما حدثت بدعة الجهمية ـ مصنفات كثيرة في الرد عليهم، كالإمام أحمد وابنه عبد الله والخلال وأبي بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدرامي وإمام الأئمة محمد بن خزيمة وأبي عثمان الصابوني وخلق من أئمه السنة لا يمكن حصرهم، وكذلك من بعدهم كأبي محمد موفق الدين وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومن في طبقتهم كالعماد ابن كثير والحافظ ابن عبد الهادي بن رجب والذهبي وغيرهم من أهل السنة والجماعة، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة، فلله الحمد على ظهور الحق ونشره والدعوة اليه والمحافظة عليه.

وفي صحيح البخاري قال علي: حدِّثوا الناسَ بما يِعْرفون أَتريدون أَنْ يُكذَّب الله ورسوله (١).

وروى عبد الرزَّاق عن مَعْمَر عن ابن طاوُوس عن ابيه عن ابن عباس أنه رأى رجلا انتفض لمَّا سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاءِ؟ يجدون رقَّةً عند مُحْكَمِه، ويَهْلكون عند مُتَشابهه (٢).

---

(١) قوله: «قال علي: حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله»؟ وهذا - والله أعلم - قاله حين كثر القصاص في خلافته، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة، ولهذا كثر الوضع بهذا السبب. وغير المعروف يحتمل أن يكون فيه ما يصح وفيه ما لا يصح، فاذا سمعه من لم يعرفه أنكره، وربما كان حقاً. فلا ينبغي التحديث إلا بما صح وثبت واشتهر عن المحدثين والفقهاء، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدث به لاحتمال أن يكون غير صحيح. وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان ينهى عن القصص لما فيه من التساهل في النقل ويقول: لا يقص إلا أمير أو مأمور.

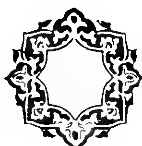
(٢) قوله: «وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن ابيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثا عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابه»؟ اهـ. قوله «وروى عبد الرزاق» هو ابنُ همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف، أكثر الرواية عن معمر بن راشد صاحب الزهري وهو شيخ عبد الرزاق يروي عنه كثيراً. ومعمر بفتح المين وسكون العين أبو عروة بن أبي عمرو راشد الازدى الحراني ثم اليماني من أصحاب محمد بن شهاب الزهري، ويروى عنه كثيراً. قوله: «عن ابن طاووس» هو عبد الله بن طاووس اليماني، قال معمر: كان من أعلم الناس بالعربية، وقال ابن عيينة: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. قوله: «عن أبيه» هو طاوُوس بن كيسان الجَنَدي- بفتح الجيم والنون - الإمام العالم قيل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي. قلت: وهو من ائمة التفسير ومن أوعية العلم، قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال: قدمت على عبد الملك بن مروان فقال: من أين قدمت يا زهري؟ قال قلت: من مكة. قال: من خلفت يسودها وأهلها؟ قلت: عطاء بن أبي رباح. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت من الموالي. قال: فبم سادهم؟ قال قلت: بالديانة والرواية. قال: إن أهل الديانة والرواية لينبغي =

ولما سمعتْ قريش رسولَ الله ﷺ يذكرُ الرحمٰنَ أنكروا ذلك، فأنزل الله فيهم ﴿وهم يَكْفُرون بالرحمٰن﴾ [1].

= أن يسودوا. قال: فمن يسود أهل اليمن؟ قلت طاووس بن كيسان. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي، قال: فبم سادهم؟ قلت: بما ساد به عطاء. قال: إنه لينبغي ذلك. قال: فمن يسود أهل مصر؟ قلت يزيد بن أبي حبيب. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الوالي. قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل. قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي. قال: فمن يسود أهل خرسان؟ قال قلت: الضحاك بن مزاحم. قال فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الوالي. قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن البصري. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من الموالي؟ قال: ويلك ومن يسود أهل الكوفة؟ قال قلت: ابراهيم النخعي. قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت: من العرب. قال: ويلك يا زهري، فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها: قال قلت: يا أمير المؤمنين إنما هو دين، من حفظه ساد، ومن ضيعه سقط. قوله «ما فرق هؤلاء»؟ يستفهم من أصحابه، يشير الى أناس ممن يحضرون مجلسه فاذا سمعوا شيئا من محكم القرآن حصل منهم فَرَقٌ أي خوف، فاذا سمعوا شيئا من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دل عليه ظاهرا، فان لم يقبل معناه اورده او شك فيه لم يكن مؤمنا به فيكون هلاك. وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره، فقتل من دعاتهم غيلان، قتله هشام بن عبد الملك لما أصر على قوله بنفي القدر، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقتل، قتله خالد بن عبد الله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد. قال الذهبي: حدثنا وكيع عن إسرائيل بحديث «إذا جلس الرب على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع. فغضب وكيع وقال: ادركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الاحاديث ولا ينكرونها. أخرجه عبد الله في الرد على الجهمية. والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس، وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم. وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من اهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضا ورد المتشابه الى المحكم. وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان. فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه.

(١) قوله: «ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك. فأنزل الله فيهم =

فيه مسائل: (الاولى) عدم الايمان بجحد شيء من الاسماءِ والصفات. (الثانية) تفسير آية الرعد. (الثالثة) ترك التحديث بما لا يفهم السامع. (الرابعة) ذكر العلة أنه يفضى الى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر. (الخامسة) كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه هلكة.



= ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ الآية» روى ابن جرير عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو ساجداً: «يا رحمن يا رحيم» فقال المشركون: هذا يزعم أنه يدعو واحدا وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن. أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ [الاسراء: ١١].

٤١ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿يَعْرِفونَ نِعمةَ الله ثم يُنْكِرونها﴾ الآية [النحل: ٨٣]. قال مجاهد ما معناه: هو قولُ الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي. وقال عَوْنُ بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا. وقال ابن قُتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال أَبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه «إنّ الله تعالى قال: أَصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر» الحديث، وقد تقدم ـ: وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة، يُذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره، ويشركُ به [١]. قال بعض السَّلَف: هو كقولهم كانتِ الْريحُ طيبةً والملاَّحُ حاذقا، ونحو ذلك مما هو جارٍ على الْسِنة كثير.

فيه مسائل: (الاولى) تفسير معرفة النعمة وإنكارها. (الثانية) معرفة أَن هذا جار على أَلسنة كثير. (الثالثة) تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة. (الرابعة) اجتماع الضدين في القلب.

---

(١) قوله: «باب قول الله تعالى: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ الآية» قال ابن جرير: فان أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة، فذكر عن سفيان عن السدي ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ قال: محمد ﷺ. وقال آخرون: بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد الله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند الله وأن الله هو المنعم عليهم بذلك ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم. وأخرج عن مجاهد ﴿يعرفون نعمةالله ثم ينكرونها﴾ قال: هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب، يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا أياه. قوله وقال عون بن عبد الله: يقولون لولا فلان لم يكن كذا». عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي الزاهد، عن أبيه وعائشة وابن عباس، وعنه قتادة وأبو الزبير والزهري، وثقة أحمد وابن معين، قال البخاري: مات بعد العشرين ومائة. واختار ابن جرير القول الأول، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره =

٤٢ ـ باب

قولَ الله تعالى ﴿فلا تجعلوا الله أَنْداداً وأَنتم تعلمون﴾(١) [البقرة : ٢٢] الآية (١)

قال ابن عباس في الآية : الأَندادُ هو الشرك ، أَخْفىٰ من دبيب النمل علىٰ صَفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أَن تقول : والله حياتكَ يا فلان وحياتي وتقول لولا كُلَيْبَةُ هذا لأَتانا اللصوص ، ولولا البطُ في الدار لأَتى اللصوص . وقول الرجُل لصاحبه : ما شاءَ الله وشئتَ ، وقول الرجل : لولا اللهُ وفلان . لا تجعلْ فيها فلانا ، هذا كله به شرك (٢) . رواه ابن أَبي حاتم .

العلماء في معناها وهو الصواب قوله : وقال شيخ الاسلام ابن تيمية «يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به . قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جار على السنة كثير اهـ . وكلام شيخ الاسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير الله وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى .

(١) قوله : باب قول الله تعالى : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ الندّ : المثل والنظير ، وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ، قال تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ قال العماد ابن كثير في تفسيره : قال أبو العالية : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ قال : عدلاء شركاء ، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدى وأبو مالك واسماعيل بن أبي خالد . وقال ابن عباس : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنتم تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول اليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه . وقال مجاهد : ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ قال : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

(٢) قوله : «وعن ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة =

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حَلَفَ بغير الله فقد كفر، أَو أَشرك» رواه الترمذي وحسَّنه، وصّححه الحاكم [1].

وقال ابن مسعود: لأَنْ أَحِلفَ بالله كاذباً أَحبُّ إِليَّ مِنْ أَن أَحِلفَ بغيرِه صادقاً، وعن ؟حذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاءَ اللهُ ثم شاءَ فلان»رواه أَبو داود بسند صحيح[3].

وجاءَ عن ابراهيم النَّخَعِيّ أَنه يكره: أَعوذُ بالله وبك، ويجوز أَن يقول: باللهِ ثم بك. قال: ويقول لولا اللهُ ثم فلان، ولا تقولوا: لولا اللهُ وفلان [4].

= سوداء في ظلمة الليل. وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلاناً) هذا كله به شرك» وهذا من ابن عباس تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى.

(١) قوله: «وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم» يحتمل أن يكون شكا من الراوي، ويحتمل أن تكون «أو» بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك، ويكون من باب كفر دون كفر.

(٢) قوله: «وقال ابن مسعود: لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلى من أن أحلف بغيره صادقاً»، ومن المعلوم أن الحلف بالله كاذباً من الكبائر، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم.

(٣) قوله: «وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا تقولوا ما شاء الله وفلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان. رواه أبو داود بسند صحيح» وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة، لأنها -في وضعها- لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم، وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر.

(٤) قوله: «وعن ابراهيم النخعي أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية البقرة في الانداد. (الثانية) أَن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الاكبر بانها تعم الاصغر. (الثالثة) أَن الحلف بغير الله شرك. (الرابعة) أَنه اذا حلف بغير الله صادقاً فهو أَكبر من اليمين الغموس. (الخامسة) الفرق بين الواو وثم في اللفظ.



= بك، قال ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان» ابراهيم هو النخعي. وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر بخلاف من ليس كذلك ممن لا يسمع كلاماً ولا يرد جواباً كالأموات والغائبين.

٤٣ ـ باب

ما جاءَ فيمن لم يَقْنَعْ بالحلف بالله

عن ابن عمر أَن رسول الله ﷺ قال: «لا تَحْلِفوا بآبائِكم، مَنْ حَلفَ بالله فلْيَصْدُقْ، ومَن حُلِفَ له بالله فلْيَرض، ومَن لم يَرْضَ فليس من الله» رواه ابن ماجه بسند حسن(١).

فيه مسائل: (الاولى) النهي عن الحلف بالآباءِ. (الثانية) الامر للمحلوف له بالله أَن يرضى. (الثالثة) وعيد من لم يرض.



---

(١) قوله: «باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا تحلفوا بآبائكم، من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله. رواه ابن ماجه بسند حسن». قوله: «لا تحلفوا بآبائكم» تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير الله في حق كل أحد. قوله: «من حلف بالله فليصدق» هذا مما أوجبه الله على عبادة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [التوبة: ١١٩] ﴿إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾. قوله: «ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله» هذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً والحديث يدل على الوجوب، ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه كما في الأثر عن عمر: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملا. وهو من حسن الخلق ومكارم الأخلاق وكمال العقل وقوة الدين.

٤٤ ـ باب

قولِ ما شاءَ اللهُ وشئتَ

عن قُتَيْلَةَ أَن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تُشْركون تقولون: ما شاءَ اللهُ وشئتَ، وتقولون: والكعبةِ. فأَمرهم النبي ﷺ إذا أَرادوا أَن يحلفوا أَن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأَن يقولوا: ما شاءَ اللهُ ثم شئتَ. رواه النسائي وصححه (١).

وله أيضاً عن ابن عباس أَنَّ رجلا قال للنبيّ ﷺ: ما شاءَ الله وشئتَ. فقال «أَجعلتَني لله ندّاً! ما شاءَ الله وحْدَه (٢)».

---

(١) قوله: باب قول ما شاء الله وشئت. عن قتيلة أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادو أن يحلفوا أن يقولوا «ورب الكعبة» وأن يقولوا «ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي وصححه. قوله «قتيلة» بمثناة مصغرة بنت صيفى الأنصارية صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب، ورواه عنها عبد الله ابن يسار الجعفي، وفيه قبول الحق ممن جاء به، وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع انها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة. وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا مقام إبراهيم، وقل من يسلم من هذا لمن يحج من أهل الآفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها. والكعبة عظمها الله بأن جعل حجها ركنا على من استطاع، وشرع العبادة عندها وخصها بالفضل، فالمشروع إنما هو الطواف بها والصلاة اليها، لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾. قوله: «انكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت». والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ [التكوير: ٢٩] وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أرادة الله من العبد وما شاءه، وقد قال تعالى: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩] وقال تعالى: ﴿الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ [الفرقان: ٢] وفي الحديث أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة» وهو في الصحيحين وغيرهما.

(٢) قوله: وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: =

ولابن ماجة، عن الطُّفَيل أَخي عائشة لامِّها قال: رأَيت كأَنّي أَتيتُ على نفر من اليهود، قلتُ: إِنكم لأَنتمُ القوم، لولا أَنكم تقولون: عُزَيرٌ ابنُ الله، قالوا: وأَنتم لأَنتُم القوم، لولا أَنكم تقولون: ما شاءَ الله وشاءَ محمد ثم مررتُ بنفر من النصارى، فقلت: إِنكم لأَنتُمُ القومُ، لولا أَنكم تقولون: المسيحُ ابنُ الله، قالوا: وأَنتم لأَنتمُ القومُ، لولا أَنكم تقولون ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمد. فلما أَصبحتُ أَخبرتُ بها من أَخبرتُ، ثم أَتيتُ النبيَّ ﷺ فأَخبرتُه، قال «هل» أَخبرتَ بها أَحداً»؟ قلتُ: نعم. قال: فحمد الله وأَثنى عليه، ثم قال: «أَما بعدُ فان طُفَيلا رأَىٰ رؤ يا أَخبرَ بها من أَخبرَ منكم، وإِنكم قلتم كلمةً كان يمنعني كذا وكذا أَن أَنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمد، ولٰكن قولوا: ما شاءَ الله وحْدَه [1]».

= «أجعلتني لله نداً: بل ما شاء الله وحده». هذا بين ما تقدم من أن هذا شرك، لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه، لأن الواو وضعت لمطلق الجمع فلا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء، كما تقدم في الرجلين اللذين قرب أحدهما ذباباً للصنم فدخل النار. وفيه أن النبي ﷺ حمى حمى التوحيد، وسد طرق الشرك في الأقوال والأعمال.

(١) قوله: ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون عزير بن الله قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصارى، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح بن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: «هل أخبرت بها أحداً»؟ قلت: نعم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فان طفيلا رأى رؤ يا أخبر بها من أخبر منكم، وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان أنهاكم عنها، فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده». قوله: «عن الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخى عائشة لأمها له حديث عن ابن ماجه وهو ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى في الباب. وهذه الرؤ يا حق أقرها =

فيه مسائل: (الاولى) معرفة اليهود بالشرك الاصغر. (الثانية) فهم الانسان إذا كان له هوى. (الثالثة) قوله ﷺ أَجعلتني لله نداً؟ فكيف بمن قال: يا أَكرم الخلق مالي من أَلوذ به سواك، والبيتين بعده. (الرابعة) ان هذا ليس من الشرك الاكبر لقوله: «يمنعني كذا وكذا» (الخامسة) أَن الرؤيا الصالحة من أَقسام الوحي. (السادسة) أَنها قد تكون سببا لشرع بعض الأَحكام.



رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم أن يقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده، وقد بلغ ﷺ البلاغ المبين، وأنذر عن الشرك وحذر عن قليله وكثيره. فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر، ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر ويسمع ويستجيب من تلك المسافة، وجعلوا الأموات شركاء لله في الملك والتدبير وعلم الغيب وغير ذلك من خصائص الربوبية، وتركوا نبيهم وما جاء به وما قاله وما نهى عنه كأنهم لم يسمعوا كتاباً ولا سنة، وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى، فما زال يدعو الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له حتى أكمل الله لهم به الدين وأتم عليهم النعمة، لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال، ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك، وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول الله ﷺ وأخبر أنها حق.

٤٥ ـ باب

من سبَّ الدَّهرَ فقد آذىٰ الله

وقولِ الله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلَّا حَياتُنا الدُّنيا نموتُ ونحيا وما يُهْلِكُنا إلَّا الدَّهر﴾ [الجاثية: ٢٤]. الآية [١]. في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قال اللهُ تعالى يُؤْذِيني ابنُ آدم، يَسُبُّ الدهرَ، وأنا الدهرُ، أُقَلِّبُ الليلَ والنهار».

وفي رواية «لا تَسُبُّوا الدهرَ، فانَّ الله هو الدهر [٢]».

فيه مسائل: (الاولى) النهي عن سب الدهر. (الثانية) تسميته أذى لله. (الثالثة) التأمل في قوله: «فان الله هو الدهر». (الرابعة) أَنه قد يكون سابا ولو لم يقصد بقلبه.

---

(١) قوله: باب من سب الدهر فقد آذى الله. وقول الله تعالى: ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾. قال: العماد ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد. قالوا: ﴿ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا﴾ أي ما ثم إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، ولاثم معاد ولا قيامة. وهذا يقوله مشركو الغرب المنكرون للمعاد، ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة، ولهذا. قال عنهم: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ قال سبحانه: ﴿وما لهم به من علم إن هم إلا يظنون﴾ [الجاثية: ٢٤] أي يتوهمون ويتخيلون.

(٢) قوله: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار» وفي رواية «لا تسبوا الدهر، قان الله هو الدهر». قال في شرح السنة: حديث متفق على صحته، أخرجاه من طريق معمر من أوجه عن أبي هريرة، قال: ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر، فاذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبهـا إلى الله عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة =

٤٦ ـ باب

التسمّى بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسم عندَ اللهِ رجُلٌ تسمىَّ مَلِكَ الأَمْلاك، لا مالكَ إلا الله» قال سُفيان: مثلُ شاهان شاهْ. وفي رواية «أَغْبَطُ رجُلٍ على الله يوم القيٰمة وأَخْبَثُه». قوله: «أَخْنَعَ» يعني: أَوضع [١].

فيه مسائل« (الاولى) النهي عن التسمي بملك الاملاك. (الثانية) أَن ما في معناه مثله كما قال سفيان. (الثالثة) التفطن للتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بان القلب لم يقصد معناه. (الرابعة) التفطن ان هذا لاجلال الله سبحانه.

= للأمور التي يصفونها، فنهوا عن سب الدهر. انتهى باختصار، ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبي وغيرهما، وليس منه وصف السنين بالشدة لقوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ الآية. [يوسف: ٤٨] قال بعض الشعراء:

إن الليالي من الزمان مهولة ... تطوى وتنشر بينها الأعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة ... وطوالهن مع السرور قصار

وقال أبو تمام:

أعوام وصل كاد ينسىٰ طيبها ... ذكر النوى وكأنها أيام
ثم انبرت أيام هجر اعقبت ... نحوى أسى فكأنها أعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

(١) قوله: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه. في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ان أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله» لأن هذا اللفظ إنما يصدق على الله فهو ملك الأملاك، لأنه هو الملك في الحقيقة ﴿له الملك وله الحمد وهو على =

٤٧ - باب

احترام أسماءِ الله تعالى وتغيير الاسم لأَجل ذلك

عن ابي شُرَيح أنه كان يُكْنىٰ أَبا الحكَم، فقال له النبيُّ ﷺ «أَنَّ الله هو الحَكَمُ، واليه الحُكم» فقال: إن قومي إذا اختَلفوا في شيءٍ أَتوْني فحكمتُ بينهم، فرضيَ كلا الفريقين. فقال «ما أَحسن هذا فمالكَ من الولَدَ؟ قلت: شُرَيحُ ومسلُم وعبد الله: قال «فَمَنْ أَكبرهُم»؟ قلتُ: شُريح. قال: «فأَنتَ أَبو شُرَيح» رواه أَبو داود وغيره [(١)].

فيه مسائل: (الاولى) احترام صفات الله واسماءِ الله ولو لم يقصد معناه. (الثانية) تغيير الاسم لأَجل ذلك. (الثالثة) اختيار اكبر الابناءِ للكنية

= كل شيء قدير﴾ [التغابن: ١] يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى: ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير﴾ الآية. [آل عمران: ٢٦] فلا ينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا، وما كان مثل ذلك فينهى عنه كالذي ترجم به المصنف، لأنه لا يصدق هذا المعنى إلا على الله، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق، لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدس دون غيره. قوله: «قال سفيان: مثل شاهان شاه» عند العجم عبارة عن ملك الأملاك، ولهذا مثل به سفيان. قوله: وفي رواية «أغيظ رجل على الله»، أغيظ: من الغيظ، وهو مثل الغضب والبغض، فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً عليه، وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل. والله أعلم. قوله«: «وأخبثه» وهو يدل أيضاً على أن هذا خبيث عند الله إذا رضي بذلك، لتعظيم الناس له بما لا يستحقه وعدم انكاره وكراهته لذلك. قوله: «أخنع» يعني أوضع، وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، فيكون فيه شائرة من الشرك وإن لم يكن أكبر.

(١) قوله: باب احترام اسماء الله تعالى وتغيير الاسم لاجل ذلك. عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم فقال النبي ﷺ «ان الله هو الحكم واليه الحكم» فقال ان قومي اذا اختلفوا في

٤٨ ـ باب

مَن هَزَلَ بشيءٍ فيه ذِكرُ اللهِ أَو القُرآنِ أَو الرسول

وقولِ الله تعالى: ﴿ولَئِن سَأَلْتَهم لَيَقُولُنَّ إِنَّما كنّا نخُوضُ ونَلْعَب﴾ الآية [التوبة: ٦٥].

=شيء أتوني فحكمت بينهم فرضى كلا الفريقين فقال: «ما احسن هذا فما لك من الولد»؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله. قال: «فمن أكبرهم»؟ قلت: شريح. قال: «فأنت أبو شريح» رواه أبو داود وغيره. قوله: «عن أبي شريح» هو الخزاعي، اسمه خويلد بن عمرو، أسلم يوم الفتح، له عشرون حديثاً اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث. وعنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة. قال ابن سعد: مات بالمدينة سنة ثمان وستين قوله «يكنى» الكنية ما صدر بأب أو أم ونحو ذلك كأبي محمد، واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين. وقوله ﷺ «إن الله هو الحكم واليه الحكم» أي هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي انزله على أنبيائه ورسله، وما من قضية إلا وله فيها حكم مما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة، لكن قد يخفى على المجتهد، فان المجتهدين وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحداً، فمن رزقه الله قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب من اقوال العلماء أدرك ما هو الصواب من ذلك. وقوله: «اليه الحكم في الدنيا والآخرة» كما قال تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ [الشورى: ١٠] وقال: ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ الآية [النساء: ٥٩]. فالحكم الى الله هو الحكم الى كتابه، والحكم الى رسوله هو الحكم اليه في حياته، والى سنته بعد وفاته. قوله: «فإن قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين» المعنى والله أعلم أن أبا شريح كان مرضياً عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون صلحه، فسموه حكما. وأما ما يحكم به الجهلة من الاعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب، لما فيه من النهي الشديد، والخروج عن حكم الله ورسوله الى ما يخالفه كما قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ [المائدة: ٤٤] وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به، وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى لذلك ممن يرجع الناس اليه اذا اختلفوا. قوله ﷺ: «فما لك من الولد؟ قلت: شريح ومسلم وعبد الله، قال: فمن أكبرهم؟ قلت: شريح. قال فانت أبو شريح» فكناه بالكبير وهو السنة، وغير كنيته بابي الحكم لأن الله هو الحكم على الاطلاق ومنه تسمية =

عن ابنِ عمرَ ومحمدِ بن كعب وزيدِ بن أَسلمَ وقتادةَ ـ دخلَ حديثُ بعضِهم في بعض ـ أنه قال رجُلٌ في غزوةِ تَبُوك: ما رأَينا مثلَ قُرّائنا هؤلاءِ، أَرْغَبَ بُطوناً، ولا أَكذب أَلْسُناً، ولا أَجْبَنَ عند اللقاءِ ـ يعني رسولَ اللهِ ﷺ وأَصحابهُ القُرّاءَ ـ فقال له عَوْفُ بن مالك: كَذَبْتَ ولٰكنَّكَ مُنافق، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ. فذهبَ عوفُ الى رسول الله ﷺ لِيُخبِرَه، فوجد القرآن قد سبَقَه، فجاءَ ذلك الرَّجُلُ الى رسول الله ﷺ ـ وقد ارتحلَ وركِبَ ناقتِه ـ فقال: يا رسولَ الله، إنما كنّا نَخُوضُ ونتحَّدثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ نقطَعُ به عنا الطريق. قال ابن عمر: كأَنّي أَنظُرُ اليه متعلِّقا بنِسْعَةِ ناقةِ رسولِ الله ﷺ، وإِنَّ الحجارةَ تنكبُ رِجْلَيه، وهو يقول: إِنَّما كنّا نَخُوضُ ونلعبُ، فيقول له رسول الله ﷺ «أَباللهِ وآياتهِ ورسولهِ كنتم تَسْتَهْزِئُون» [التوبة: ٦٥].؟ ما يلتفت اليه، وما يزيده عليه [١].

= الأئمة بالحكام، فينبغي ترك ذلك والنهي عنه لهذا الحديث وهذا قد حدث في الناس قريباً.

(١) قوله: باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ـ أي فقد كفر ـ وقول الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب﴾. الآية. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك لرسول الله ﷺ ـ وقد ارتحل وركب ناقته ـ فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال: ﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم، إن نعفُ عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ وإن رجليه لينسفان الحجارة، وما يلتفت اليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله ﷺ. قوله: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم﴾ أي بهذا المقال الذي استهزأتم به﴿إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾ أي لا يعفى عن جميعكم، ولا بد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة. انتهى: وقال شيخ الاسلام رحمه الله تعالى: وقد أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ وقول من =

فيه مسائل: (الاولى) وهي العظيمة أَن من هزل بهذا فهو كافر. (الثانية) أَن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان. (الثالثة) الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله. (الرابعة) الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أَعداءِ الله. (الخامسة) أَن من الاعذار ما لا ينبغي أَن يقبل.



= يقول «إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم» لا يصح، لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم فانهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد إنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين اهـ. وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو بعمل يعمل به، وأشدها خطراً إرادات القلوب، فهي كالبحر الدي لا ساحل له. ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله.

٤٩ ـ باب

ما جاءَ في قولِ الله تعالى: ﴿ولَئِنْ أَذَقْناه رَحْمَةً منَّا مِنْ بَعْدِ ضَرّاء مَسَّتْه لَيَقُولَنَّ هذا لي﴾ الآية [فصلت: ٥٠]. قال مُجاهد: هذا بعملي، وأَنا مَحْقوقٌ به. وقال ابن عبّاس يريد من عندي. وقوله: ﴿قال إنما أُوتِيتُه علىٰ عِلْمٍ عندي﴾ [القصص: ٧٨]. قال قتادة: على علم منّي بوجُوه المَكاسِب. وقال آخرون: على علم مِنَ الله أَنِّي له أَهْل. وهذا معنى قول مجاهد: أُوتِيتُه على شَرَف[1].

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثةً مِن بني إسرائيلَ: أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعمىٰ، فاراد اللهُ أَن يَبْتَلِيَهم فبعث اليهمْ مَلَكا فأَتىٰ الأَبرصَ فقال: أَيُّ شيء أَحَبُّ اليكَ؟ قال: لونٌ حسن، وجِلْدٌ حسن، ويَذهَبُ عني الذي قد قَذِرَني الناس به. قال: فمسَحَه، فذهبَ عنه قِذَرُه، وأُعطِيَ لوناً حَسَنا وجِلداً حسناً قال: فأَيُّ المال أَحبُّ اليك؟ قال الإبلُ ـ أَوِ البقر شكَّ إِسحاق ـ فأُعطِيَ ناقةً عُشَراءَ، وقال: بارك الله لك فيها. قال فأَتى الأَقرعَ فقال: ايُّ شيءٍ أَحبُّ اليك؟ قال: شعرٌ حسن،

---

(١) قوله: باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته﴾ الآية. ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنى قال: قال مجاهد: هذا بعملي وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد من عندي. وقوله: ﴿قال إنما أوتيته على علم عندي﴾ قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف. وليس ما ذكروه اختلافاً وإنما هو أفراد المعنى.

ويذهبُ عني الذي قد قَذِرَني الناس به. فمسحه فذهب عنه، وأُعطِي شَعراً حسنا. فقال: أيُّ المالِ أحبُّ اليكَ؟ قال: البقرُ - أو الابل - فأُعْطِيَ بقرةً حاملاً، وقال له: بارك الله لكَ فيها. فأتىٰ الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يَرُدَّ اللهُ إليَّ بَصَري فأُبصرَ به الناس، فمَسَحَه، فردَّ الله إليه بصرَه. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغنمُ. فأُعطِيَ شاةً والدا، فأُنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم. قال: ثمَّ إنه أتىٰ الأَبرصَ في صورته وهيئتهِ فقال: رجلٌ مِسْكِين قد انقطعتْ بيَ الحِبالُ في سفري، فلا بَلاغَ لي اليوم الا بالله ثم بك. أسألكَ - بالذي أعطاكَ اللونَ الحسَن والجلدَ الحسن والمالَ - بعيراً أَتبلَّغُ به في سَفَري. فقال: الحقوقُ كثيرة. فقال له: كأني أعرفُكَ، ألم تكنْ ابرصَ يَقْذَرُكَ الناسُ، فقيراً فأعطاك الله عزَّ وجلَّ المالَ؟ فقال: إنّما ورثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر. فقال: إنْ كنتَ كاذباً فصيَّرَكَ اللهُ الى ما كنت. قال: وأتىٰ الأَقرَعَ في صورتهِ، فقال له مثل ما قال بهذا، وردَّ عليه مثل ما ردَّ عليه هذا. فقال: إن كنت كاذبا فصيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنت. قال: وأتىٰ الاعمى في صورته، فقال: رجلٌ مسْكِينٌ وابنُ سَبيل، قد انقطعتْ بي الحِبالُ في سفري، فلا بَلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألكَ - بالذي ردَّ عليكَ بصَرَك - شاةً أتبلَّغُ بها في سفري. فقال: قد كنتُ أعمىٰ فردَّ اللهُ إليَّ بَصَري، فخذْ ما شئت ودَعْ ما شئت، فواللهِ لا أجْهَدُكَ اليومَ بشيءٍ أخَذْتَهُ لله. فقال: أمسِكْ مالَكَ فإنَّما ابتُلِيتم، فقد رضي

اللهُ عنكَ وسَخِطَ على صاحِبيْك». أخرجاه (١).

فيه مسائل: (الأولى) تفسير الآية. (الثانية) ما معنى (ليقولن هذا لي). (الثالثة) ما معنى قوله (أُوتيته على علم عندي). (الرابعة) ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

---

(١) قوله: وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن ثلاثة من بني إسرائيل -أبرص وأقرع وأعمى- فأراد الله أن يبتليهم، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك: قال: لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به. قال: فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً. قال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل -أو البقر، شك إسحاق- فأعطى ناقة عشراء، وقال: بارك الله لك فيها. قال فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني الذي قد قذرني الناس به. فمسحه فذهب عنه قذره، وأعطى شعراً حسناً. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال البقر -أو الإبل- فأعطى بقرة حاملا وقال: بارك الله لك فيها. قال: وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: أن يرد الله إليّ بصري، فأبصر به الناس. فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطى شاة والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم. قال: ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك -بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال- بعيراً أتبلغ به في سفري. فقال: الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال؟ فقال: إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. قال: ثم إنه أتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: رجل مسكين وابن سبيل، قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك -بالذي رد عليك بصرك- شاة أتبلغ بها في سفري. فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال أمسك مالك، فانما ابتليتم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبيك» أخرجاه وهذا حديث عظيم يبين حال من كفر النعم وحال من شكرها. قال ابن القيم: أصل الشكر هوالاعتراف بانعام المنعم على وجه الخضوع له والذل والمحبة، فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها، ومن عرفها ولم يعرف المنعم بها لم يشكرها أيضا، ومن عرف النعمة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم فقد =

٥٠ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿فلمَّا آتاهما صالحاً جَعَلا له شُرَكاءَ فيما آتاهُما﴾ [الأعراف: ١٩]. الآية (١)

قال ابنُ حــزم: اتَّفَقوا على تحريم كلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لغيرِ الله، كعَبْدِ عُمَرَ وعبدِ الكَعْبَةِ وما أَشبَه ذلك، حاشا عبدَ المطَّلِب (٢).

= كفرها، ومن عرف النعمة والمنعم وأقربها ولم يجحدها ولكن لم يخضع له يرضَ ويرضى به وعنه لم يشكرها أيضا، ومن عرفها وعرف المنعم بها وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضي عنه واستعملها في محابه وطاعته فهذا هو الشاكر لها، فلابد في الشكر من علم القلب، وعمل يتبع العلم، وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له اهـ. قوله: «قد قدرني الناس» أي بكراهة رؤيته وقربه منهم.

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية: حدثنا عمر بن ابراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواءُ طاف بها إبليس ـوكان لا يعيش لها ولدـ فقال: سميه عبد الحارث فانه يعيش، فسمته عبد الحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره». وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾ قال: كان هذا في بعض الملل، ولم يكن بآدم. وعن ابن عباس قال: كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وآدم فقال: أما إنكما لو تسميانه عبد الحارث لعاش، فولدت رجلاً فسمياه عبد الحارث، ففيه أنزل الله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ إلى آخر الآية.

(٢) قوله: «قال ابن حزم» هو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم القرطبي الظاهري صاحب التصانيف، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة. «اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو عبد الكعبة وما شبه ذلك، حاشا عبد المطلب». قلت: وعبد المطلب هذا جد رسول الله ﷺ. وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي =

بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لئن آتَيْتَنا صالحا﴾ قال: أشفَقا أَن لا يكون إنسانا. وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل: (الاولى) تحريم كل اسم معبد لغير الله. (الثانية) تفسير الآية (الثالثة) ان هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها. (الرابعة) ان هبة الله للرجل البنت السوية من النعم. (الخامسة) ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.



٥١ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿ولله الأَسماءُ الحُسنىٰ فادْعُوه بها [(١)] وذَرُوا الذين يلْحِدُون في أَسمائِه﴾ الآية [الأعراف: ١٨٠]. ذكرَ ابنُ أَبي حاتم عن

---

(١) قوله: باب قول الله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ الآية. أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات، وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان، وأخرجه الجرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله، وزاد بعد قوله يحب الوتر: «هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصى، المبدىء، المعيد، المحيى، المميت، الحي، القيوم، الواحد، الأحد، الماجد، الفرد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالى، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك، ذو الجلال، والاكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغنى، المعطى، المانع، النافع، الضار، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور، «ثم قال الترمذي: ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء الحسنى إلا في هذا الحديث، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج. هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره ثم قال: ليعلم أن الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين، بدليل ما رواه أحمد عن يزيد بن هارون عن فضيل ابن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود أن النبي ﷺ قال: «ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فى حكمك، عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وذهاب حزني، وجلاء همي وغمي، إلا أذهب الله =

فيه مسائل : (الاولى) تفسير السلام . (الثانية) أنه تحية . (الثالثة) أنها لا تصلح لله . (الرابعة) العلة في ذلك . (الخامسة) تعليمهم التحية التي تصلح لله .

= إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا السلام على الله من عباده، السلام على فلان فقال النبي ﷺ : «لاتقولوا السلام على الله، فان الله هو السلام». هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن ابن مسعود، وفي هذا الحديث النهي عن ذلك، وقد كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثاًوقال : «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى. قوله : «فان الله هو السلام» أي هو تعالى سالم من كل نقص ومن كل تمثيل، فهو الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل عيب ونقص، قال في البدائع : السلام اسم مصدر، وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الانشاء والإخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الانشائية، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية. وفيه قولان مشهوران : (الأول) أن السلام هنا هو الله عز وجل. ومعنى الكلام : نزلت بركته عليكم ونحو هذا. فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء. (الثاني) أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية؛ ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكراً فيقول المسلم : سلام عليكم ولو كان اسما من أسماء الله لم يستعمل كذا. ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وانما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبراً أو دعاء، قال رحمه الله تعالى : وفصل الخطاب أن يقال الحق في مجموع القولين، فكل منهما معه بعض الحق والصواب في مجموعهما، وانما يتبين ذلك بقاعدة وهي أن حق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله حتى أن الداعي متشفع إلى الله تعالى متوسل به إليه، فاذا قال : رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الغفور، فقد سأله بأمرين، وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وطلب السلامة منه، فتأمل هذه الفائدة، وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب. وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه فمن ذلك قولك : سلمك الله، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط : اللهم سلم سلم. ومنه : سلم الشيء لفلان، أي خلص له وحده كما قال تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلَماً لرجل﴾ [الزمر : ٢٩]، أي خالصاً له وحده لا يملكه معه غيره، ومنه السلم ضد الحرب لان كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر، ولهذا بنى فيه على المفاعلة فيقال المسالمة =

٥٣ ـ باب

قول: اللهمَّ اغفرْ لي إنْ شئت

في الصحيح عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يقلْ احدكم: اللهم اغفرْ لي إنْ شئت، اللهمارحمني ان شئت، لِيَعْزِمِ المسأَلةَ، فانَّ اللهَ لا مُكرِهَ له [(١)]».

ولمسلم: وليُعَظِّمِ الرغبةَ فانَّ اللهَ لا يَتعاظَمُه شيءٌ أَعْطاه [(٢)].

= مثل المشاركة، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب، وحقيقته الذي قد سلم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه والفوز بكرامته. ومنه أخذ الإسلام فانه من هذه المادة لأنه الاستسلام والانقياد له والتخلص من شوائب الشرك، فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه، وللمشرك به.

(١) قوله: «باب قول اللهم اغفر لي إن شئت» قوله: «لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت، اللهم ارحمني إن شئت. ليعزم المسألة فان الله لا مكره له» بخلاف العبد فانه قد يعطي السائل مسألته لحاجته اليه أو لخوفه أو رجائه فيعطيه مسألته وهو كاره، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول مسألته على مشيئة المسئول مخافة أن يعطيه وهو كاره، بخلاف رب العالمين فانه يعطى عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه. فالأدب مع الله أن لا يعلق مسألته لربه بشيء، لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه، وفي الحديث« ليعزم المسألة» وفي الحديث« يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار» الحديث.

(٢) قوله: ولمسلم «وليعظم الرغبة» في سؤاله ربه حاجته فانه يعطي العظائم كرماً وجوداً وإحساناً «فان الله لايتعاظمه شيء أعطاه» أى ليس ما أعطى عبده مما سأله لعظيم عنده لكمال فضله وجوده، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه.

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء

٥٥ ـ باب

لا يُرَدُّ من سَأَلَ بالله(١)

عن ابن عمرقال: قال رسول الله ﷺ «من استَعاذَ باللهِ فأَعِيذُوه، ومن سَأَلَ باللهِ فأَعْطوه، ومن دَعاكم فأَجيبوه، ومن صَنَعَ إليكم مَعْروفاً فَكافِئُوه، فان لم تجِدُوا ما تُكافِئونَهُ فادعوا له حتى تُرَوْا أَنَّكم قد كافأْتموه». رواه أَبو داود والنسائي بسند صحيح (٢).

فيه مسائل: (الاولى) اعاذة من استعاذ بالله. (الثانية) اعطاءُ من سأَل بالله. (الثالثة) اجابة الدعوة. (الرابعة) المكافـأَة على الصنيعة. (الخامسة) أَن الدعاءَ مكافأَة لمن لم يقدر الا عليه. (السادسة) قوله: «حتى تروا أَنكم قد كافأْتموه».

---

(٢) قوله: «باب لا يرد من سأل بالله». ظاهر الحديث النهي عن رد السائل إذا سأل بالله، ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسئول ولا ضرر، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالى الشيم، وربما كان السائل محتاجاً أو مضطراً فيجب أن يعطى ما سأله، ويأثم المسئول في منعه، فيؤخذ من ماله أضعاف مامنع على وجه يكرهه، فباعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدي حق الله فيها. ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه خصوصاً إذا سأل بالله تعالى فيكون إعطاؤه تعظيما لمن سأل به وهو الله تعالى.

(٢) قوله: عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «من استعاذ باللهفأعيذوه، ومن سأل بالله فاعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع اليكم معروفاً فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه» رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح. قوله: «من استعاذ بالله فأعيذوه» تعظيما لله تعالى وتقرباً اليه بذلك. قوله: «ومن دعاكم فأجيبوه» هذا من حقوق المسلم على المسلم، ومن أسباب الألفة وسلامة الصدر وإكرام الداعي. قوله: «ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه» أي ينبغي المكافأة على المعروف، وهو من مكارم الأخلاق، وفيه السلامة من البخل =

٥٦ ـ باب

لا يُسْأَلُ بوجهِ الله إلَّا الجنَّة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «لا يُسْأَلُ بوجهِ اللهِ إلَّا الجنَّة». رواه أبو داود [(١)].

فيه مسائل: (الاولى) النهي عن أن يسأل بوجه الله الا غاية المطالب. (الثانية) اثبات صفة الوجه.

وما يذم به. قوله: «فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له» فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافأة في حق من لم يجد ما يكافىء به. قوله: «حتى تروا» بضم التاء أي تظنوا، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس «من سألكم بوجه الله فاعطوه»

(١) قوله: «باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» ذكر فيه حديث جابر رواه أبو داود قال: قال رسول الله ﷺ: «لايسأل بوجه الله إلا الجنة» هنا سؤال، وهو أنه قد ورد في دعاء النبي ﷺ عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدوّ ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور، وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل على غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله» والحديث المروي في الأذكار «اللهم أنت أحق من ذُكر، وأحسن من عُبد» وفي آخره «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض» ونحوه في الأحاديث المرفوعة. فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا. والله أعلم.

٥٨ ـ باب

النهي عن سَبِّ الرِّيح

عن أُبَيّ بن كَعْب رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تَسُبُّوا الريحَ، فاذا رأَيتم ما تَكْرَهون فقولوا: اللهمَّ إنا نسأَلُكَ من خَيرِ هٰذه الريحِ، وخيرِ ما فيها وخير ما أُمِرَتْ به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمِرَتْ به» صححه الترمذّي [١].

فيه مسائل: (الاولى) النهي عن سب الريح. (الثانية) الارشاد الى الكلام النافع إذا رأَى الانسان ما يكره. (الثالثة) الارشاد الى أَنها مأْمورة. (الرابعة) أَنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

---

(١) قوله: باب النهى عن سب الريح. عن أبيّ بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فاذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به» صححه الترمذي. لأن الريح خلق من خلق الله مدبر، وانما تهب بمشيئة الله وقدرته فيرجع السب إلى من خلقها وسخرها. وأرشد النبي ﷺ أمته إلى أن يقولوا ما ذكر في الحديث، وهو سؤ اله تعالى خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها وشر ما فيها، وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم ويستعيذوا به من شر ما يضرهم وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده وطاعة له وإيماناً به، وهذه حال أهل التوحيد والايمان خلافاً لحال أهل الشرك والبدع.

٥٩ ـ باب

قولِ الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ باللهِ غيرَ الحقِّ ظَنَّ الجاهليَّة، يقولونَ هلْ لنا مِنَ الأَمرِ مِنْ شيء. قلْ إنَّ الأمرَ كُلَّهُ لله﴾ (١) الآية [آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الظانِّينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْء، عليهمْ دائرة السوء﴾ الآية [الفتح: ٦] (٢).

---

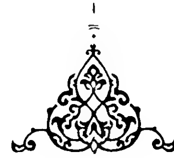
(١) قوله: باب قول الله ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية، يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قل إن الامر كله لله﴾. وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً يغشى طائفة منكم» يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله ﷺ وينجز مأموله. ولهذا قال: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ كما قال تعالى: ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ [الفتح: ١٢]. وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة، وأن الاسلام قد باد وأهله. وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور تحصل لهم هذه الامور الشنيعة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله: وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله وأن أمره سيضمحل. وفسر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله. هذا هو ظن السوء ﴿عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّلهم جهنم وساءت مصيراً﴾ [الفتح: ٦].

(٢) قوله ﴿الظانين بالله ظن السوء﴾ قال ابن جرير في تفسيره ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات. والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ أي الظانين بالله أن لن ينصرك وأهل الايمان بك على أعدائك. وأن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به. وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع. وقال ابن كثير ﴿ويعذب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء﴾ أي يتهمون الله في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: ﴿عليهم دائرة =

فتشتَ لـــرأَيت عنده تعنُّتاً على القدَر وملامةً له، وأنه كان ينبغي أَن يكون كذا وكذا، فمستقِل ومُستكِثر، وفتش نفسكَ، هل أَنت سالم؟

فان تَنْجُ منها تنج من ذي عَظِيمةٍ   وإلَّا فاني لا إخالُكَ ناجيا

فيه مسائل: (الاولى) تفسير آية آل عمران. (الثانية) تفسير آية الفتح. (الثالثة) الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر. (الرابعة) أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الاسماءَ والصفات وعرف نفسه.



٦٠ - باب

ما جاءَ في مُنكري القَدَر

وقال ابنُ عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأَحدهم مثل أُحُد ذهباً ثم أَنفقه في سبيل الله ما قبِلَه اللهُ منه حتى يؤمِنَ بالقَدَر. ثم استدلَّ بقول النبي ﷺ «الإيمانُ أَنْ تُؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبه ورسلهِ واليومِ الآخر، وتُؤمن بالقَدَر خيره وشرِّه» رواه مسلم (١).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في منكري القدر» أي من الوعيد. قوله: «قال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده» حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن يحيى ابن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدي حاجين - أو معتمرين - فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق الله لنا عبد الله بن عمر داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم، يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف. فقال: إذا لقيت أولئك فاخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني. والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا». قال: صدقت. فعجبنا له، يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره». قال: صدقت. صدقت. قال: فاخبرني عن الساعة. قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل». قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان». قال فانطلق فلبثنا مليا، ثم قال: «يا عمر. أتدري من السائل»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «انه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم».

وعن عُبادة بن الصامتِ أنَّه قال لابنه: يا بنيَّ إنك لنْ تجد طعمَ الايمان حتى تعلمَ أنَّ ما أصابَكَ لم يَكنْ لِيُخْطئَك، وما أَخطأَكَ لم يكنْ لِيُصِيبَك سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ اللهُ القَلَم، فقال له: اكتُب. فقال: ربِّ وماذا أَكتُب؟ قال: مَقادِيرَ كلِّ شيء حتى تقومَ الساعة». يا بُنَيَّ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ مات على غيرِ هٰذا فليس مِنِّي» وفي رواية لأحمد «إن أَوَّلَ ما خلقَ اللهُ تعالى القَلَمُ فقال له: اكتبْ، فجرَى في تلك الساعة بما هو كائنٌ الى يوم القيامة». وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ «فمَنْ لم يُؤْمنْ بالقَدَر خيره وشرِّه أَحرقَه اللهُ بالنار [1]».

وفي المسند والسُّنَن عن ابن الدَّيْلَمِيّ قال: أَتيتُ أُبيَّ بن كعبٍ فقلتُ: في نفسي شيءٌ من القَدَر، فحدِّثْني بشيءٍ لعلَّ الله يُذْهِبُه من قلبي.

---

(١) قوله: «عن عبادة بن الصامت» حديثه هذا رواه أبو داود، ورواه الإمام أحمد بكماله قال: حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبدة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي. قال: أجلسوني. ثم قال: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قلت: يا أبتاه، وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» يا بني إن متَّ ولست على ذلك دخلت النار. رواه الترمذي بسنده المتصل إلى عطاء ابن أبي رباح. وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله وإحاطته بما كان ويكون كما في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ الآية [الطلاق: ١٢]. والآيات في إثبات القدر كثيرة. وقد استدل العلماء على اثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية. قال الإمام أحمد: القدر قدرة الرحمن. وقال بعض الأئمة في غلاة القدر: ناظروهم بالعلم فان أقروا به خصموا، وإن جحدوه كفروا.

فقال: لو أَنفقتَ مثلَ أُحْدٍ ذهباً ما قَبلَه الله منكَ حتى تُؤْمِنَ بالقَدَر، وتعلَم أَنَّ ما أَصابَكَ لم يكنْ لِيُخْطِئَك، وما أَخطأَكَ لم يكنْ ليُصِيبَك، ولو مُتَّ على غير هٰذا لكنتَ من أَهلِ النار. قال فأَتيتُ عبدَ الله بنَ مسعود وحُذَيفة بن اليمان وزيد بن ثابت، فكلُّهم حدَّثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. حديث صحيح، رواه الحاكم في صحيحه [1].

فيه مسائل: (الاولى) بيان فرض الإيمان بالقدر. (الثانية) بيان كيفية الايمان به. (الثالثة) احباط عمل من لم يؤمن به. (الرابعة) الإخبار بأَن أَحداً لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به. (الخامسة) ذكر أَول ما خلق الله. (السادسة) انه جرى بالمقادير في تلك الساعة الى قيام الساعة. (السابعة) براءَته ﷺ ممن لم يؤمن به. (الثامنة) عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء. (التاسعة) أَن العلماءَ أَجابوه بما يزيل الشبه، وذلك أَنهم نسبوا الكلام الى رسول الله ﷺ فقط.

---

(١) قوله: «وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي» هو أبو بسر - بالسين المهملة والباء المضمومة، ويقال أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء، وبعضهم صحح الأول - واسمه عبد الله ابن أبي فيروز، ولفظ أبي داود قال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبا ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، قال فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. واخرجه ابن ماجه. وهذه الاحاديث وما في معناها حجة على غلاة القدر من المعتزلة وغيرهم، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدس.

٦١ - باب
ما جاءَفي المصوِّرين

عن أَبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ «قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذهبَ يَخلُقُ كخَلْقي، فلْيَخْلُقوا ذَرَّة، أَو لِيَخْلُقُوا حبَّة، أَو ليخلُقوا شَعِيرة» أَخرجاه. ولهما عن عائشة رضي الله عنها أَن رسولَ الله ﷺ قال: «أَشَدُّ الناسِ عذاباً يومَ القيامة الذين يُضاهِئُون بخَلْق الله (١)» ولهما عن ابن عباس: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ مُصَوِّرٍ في النار، يُجعَلُ له بكلِّ صُورَة صَوَّرَها نَفْسٌ يُعذَّبُ بها في جهنم». ولهما عنه مرفوعاً «مَن صَوَّرَ صُورةً في الدنيا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ، وليس بنافخ».

ولمسلم عن أَبي الهيّاج قال: قال لي عليٌّ: أَلا أَبْعَثُكَ على ما بَعَثَني عليهِرسولُ الله ﷺ «أَلَّا تَدَعَ صُورةً إِلَّا طمستَها، ولا قبراً مُشْرِفاإِلا سَوَّيْتَه»(٢).

---

(١) قوله: «باب ما جاء في المصورين» أي من الوعيد. وقد ذكر النبي ﷺ العلة، وهي المضاهأة بخلق الله. لأن الله تعالى له الخلق والأمر، فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه، لما فيه من المضاهأة بخلق الله.

(٢) قوله: «ولمسلم عن أبي الهيّاج الأسدي قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» قوله: «عن أبي الهياج» هو الأسدي حيان بن حصين، وعلى هو أمير المؤمنين. قوله: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته» فهذا ما صح عن النبي ﷺ من إنكار هذه الأمور وإزالتها ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ [البقرة: ٥٩]. فأثروا التصوير واستعملوه، وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثاناً، وزعموه ديناً، وهو أعظم المنكرات وأكبر السيئات، تعظيما للأموات وغلواً، وعبادة لغير الله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عبادة. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما نهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهم مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً.

فيه مسائل : (الاولى) التغليظ الشديد في المصورين . (الثانية) التنبيه على العلة ، وهو ترك الادب مع الله لقوله : «ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» . (الثالثة) التنبيه على قدرته وعجزهم لقوله : فليخلقوا ذرة أَو شعيرة . (الرابعة) التصريح بأَنهم اشد الناس عذابا . (الخامسة) ان الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم . (السادسة) أَنه يكلف أَن ينفخ فيها الروح . (السابعة) الأَمر بطمسها اذا وجدت .



٦٢ - باب

ما جاءَ في كثرة الحَلِف

وقولِ الله تعالى: ﴿واحفَظوا أيمانَكم﴾ [المائدة: ٨٩]. (١) عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ للسِّلْعة، مَمحَقَةٌ للكَسْب» أَخرجاه (٢).

وعن سلمان ان رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يُزَكِيهم ولهم عذابٌ أَليم: أُشَيْمِطُ زانٍ، وعائلٌ مُستَكبر، ورجلٌ جعلَ اللهَ بِضاعتَه، لا يشتري إلَّا بيمينه، ولا يبيعُ إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح (١). وفي الصحيح عن عِمْران بن حُصَين رضي الله عنه قال:

---

(١) قوله: «باب ما جاء في كثرة الحلف» أي من النهي عنه والوعيد. وقول الله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ قال ابن جرير: أي لا تتركوها بغير تكفير. وذكر غيره عن ابن عباس: يريد لاتحلفوا. وقال آخرون ﴿احفظوا أيمانكم﴾ عن الحنث فلا تحنثوا، والمعنى يعم القولين.

(٢) قوله: عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول الحلف منفقه للسلعة ممحقة للكسب» أخرجاه. أي البخاري ومسلم. وأخرجه أبو داود والنسائي. والمعنى أنه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتريت به أو سيمت به، فيأخذها المشترى لظنه أنه صدق. وهذا وان كان فيه زيادة فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث. والواقع يشهد بصحته، فان ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب.

(١) قوله: وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه» رواه الطبراني بسند صحيح، وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبد الله، أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما، قال النبي ﷺ «سلمان منا أهل البيت، ان الله يحب من أصحابي أربعة علي وأبا ذر وسلمان والمقداد» أخرجه الترمذي. توفي سلمان في خلافة عثمان. ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن =

قال رسولُ الله ﷺ «خيرُ أُمَّتي قَرْني ، ثُمَّ الذين يَلُونهم ، ثم الذين يَلُونهم» قال عِمران : فلا أدري أَذَكَرَ بعد قرنه مرتين أَو ثلاثا؟ ثُمَّ إنَّ بَعدَكم قوما يَشْهَدون ولا يسْتَشْهَدون ، ويخونون ولا يُؤْتمنَون ، ويَنْذُرون ولا يُوفون ، ويظهرُ فيهمْ السِّمَن [(1)] » .

= أوس الضبي . قوله «لا يكلمهم الله » هذا وعيد شديد في حقهم لأنه قد تواتر أنه يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرصات القيامة ، والادلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه . وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام . قوله : «ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» هذا من تمام العقوبة عليهم ، وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر من له عقل عن هذه الأعمال السيئة ومحوها . قوله : «أشيمط زان» صغره تحقيراً له ، وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشيته لله . وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله على الكبر فدل على أنه خلق له ، فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي . قوله : «ورجل جعل الله بضاعته» بنصب الاسم الشريف ، يعني اليمين بالله عز وجل ، جعله بضاعة له لكثرة استعماله .

(١) قوله : «وفي الصحيح» أي صحيح مسلم ، وأخرجه ابو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ «خيركم» قوله : «عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا «ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن» قوله : «خير أمتي قرني» لكثرة الخير فيهم وقلة الشر وشدة الانكار على من خالف الحق وابتدع كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم «ثم الذين يلونهم» فضلوا على من بعدهم لظهور الاسلام فيهم وكثرة العلم والعلماء ، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع لكن انكرها العلماء وتصدى كثير منهم لإنكارها والرد على من قالها وهم كثيرون . قوله : «فلا أدرى أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا» هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين ، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الاهواء فقال : «ثم ان بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون» لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم . قوله : «ويخونون ولا يؤتمنون» يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم «وينذرون ولا يوفون» أي لا يؤدون ما وجب عليهم فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم ايمانهم ، قوله : «ويظهر فيهم السمن» لرغبتهم في الدنيا وشهواتهم وقلة الايمان باليوم الآخر ، وفي حديث =

وفيه عن ابن مسعود أَن النبي ﷺ قال: «خيرُ الناس قَرْنى، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثم يجيءُ قومٌ تَسْبِقُ شهادةُ أَحدِهم يمينه، ويمينه شهادَتَه». وقال ابراهيم: كانوا يَضْرِبوننا على الشهادة والعهدِ ونحن صِغار [1].

فيه مسائل: (الاولى) الوصية بحفظ الأَيمان. (الثانية) الإخبار بأَن الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة. (الثالثة) الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشتري إلا بيمينه. (الرابعة) التنبيه على أَن الذنب يعظم مع قلة الداعي. (الخامسة) ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون. (السادسة) ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أَو الاربعة وذكر ما يحدث بعدهم (السابعة) ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون. (الثامنة) كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

= أنس «لا ياتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» قال أنس سمعته من نبيكم ﷺ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم حتى فيمن انتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف. فحدث التفرق والاختلاف في الدين وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والالحاد في شرائع الدين ومذهبهم معروف وظهر فيهم من البدع ما يطول عده، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين، وما زال أهل السنة على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير.

(١) قوله: وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك. قوله: «ثم يجيء قوم» الخ وذلك لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب. قوله: «قال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن =

٦٣ - باب

ما جاءَ في ذِمَّةِ الله وذِمَّة نبيه

وقولِ الله تعالى: ﴿وأَوفُوا بعهدِ إذا عاهَدْتُم، ولا تَنقُضوا الأَيمانَ بعدَ تَوْكِيدها﴾ الآية [النحل:٩١]. (١). عن بُرَيْدَةَ أَن رسولَ الله ﷺ كانَ إذا أَمَّرَ أميراً على جيشٍ أو سَرِيَّةٍ أَوصاهُ بتَقْوى اللهِ ومَنْ معه مِنَ المسلمين خيراً فقال: «اغْزُوا بِسْم اللهِ في سبيلِ الله، قاتلوا مَنْ كفَرَ بالله، اغْزُوا ,لا تَغُلُّوا ولا تَغدِروا ولا تَمَثِّلوا ولا تَقتلُوا وَليداً، وإذا لَقيتَ عَدُوكَ مِنَ المشركينَ فادعُهُم إلى ثلاثِ خِصال - أو خلال - فأَيَّتهنَّ ما أَجابوكَ فاقْبَلَ منهم وكُفَّ عنهم. ثمَّ ادْعُهم إلى الاسلام، فانْ أَجابوكَ فاقبَلْ منهم. ثم ادّعُهم إلى التَّحَوُّل مِنْ دارهم إلى دارِ المُهاجرين، وأَخْبِره انهم إِن فَعلوا ذٰلك فلهم مالِلْمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين. فانْ أَبَوْا أَن يَتحوَّلوا منها فأَخبرهم أَنهم يكونون كأَعراب المسلمين يَجري عليهم حكم الله تعالى، ولا يكونُ لهم في الغَنِيمة والفَيء شيءٌ، إلَّا أَنْ يُجاهِدُوا مع

صغار». هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على الدين الذي أكرمهم الله به، فلا يتركون شيئا مما يكره إلا أنكروه. وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم.

(١) قوله: باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه، وقول الله تعالى: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ الآية قال العماد ابن كثير: وهذا مما يأمر الله تعالى به، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الايمان، ولهذا قال: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ قوله: ﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق، لا الأيمان الواردة على حث ومنع. قوله: ﴿إن الله يعلم ما تفعلون﴾ [النحل: ٩١]. تهديد ووعيد.

المسلمين فانْ هم أَبَوْا فاسأَلْهُم الجِزْيَةَ، فانْ هم أَجابوكَ فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم. فان هم أَبَوْا فاستعنْ بالله وقاتِلْهم. وإذا حاصرتَ أَهلَ حِصْنٍ فأَرادوكَ أَن تجعلَ لهم ذِمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيّه فلا تَجعلْ لهم ذمّة الله وذمّة نبيه، ولكن اجعلْ لهم ذِمَّتك وذِمة أَصحابِكَ فانكم أَنْ تُخْفِروا ذِمَمكم وذِمَّةَ أَصحابِكم أَهْوَنُ من أَن تُخفِروا ذمَّةَ اللهِ وذمَّةَ نبيّه. وإذا حاصرتَ أَهل حصنٍ فارادُوكَ أَن تُنْزلهم على حُكم الله، فلا تُنزلهم على حُكم الله، ولكن أَنزِلْهم على حُكْمِكَ، فانكَ لا تدرِي أَتُصِيبُ فيهم حُكم الله أَم لا»؟ رواه مسلم[1]

فيه مسائل: (الاولى) الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين (الثانية) الارشاد الى أَقل الأَمرين خطراً. (الثالثة) قوله «اغزوا بسم الله في سبيل الله». (الرابعة) قوله «قاتلوا من كفر بالله». (الخامسة) قوله «استعن بالله وقاتلهم». (السادسة) الفرق بين حكم الله وحكم العلماءِ. (السابعة) في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أَيوافق حكم الله أَم لا؟

---

(١) قوله «عن بريدة» هو ابن الحصيب الأسلمي، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه. قوله: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش او سرية أوصاه بتقوى الله تعالى» فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم، قال الحربي: السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها، والجيش ما كان أكثر من ذلك. وتقوى الله التحرز من عقوبته بطاعته. قوله: «ومن معه من المسلمين خيراً» أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً، من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم. قوله: «اغزوا باسم الله» أي اشرعوا في الغزو مستعينين بالله مخلصين له، فتكون الباء في «بسم الله» للاستعانة بالله والتوكل عليه هنا. قوله: «قاتلوا من كفر بالله» هذا العموم يشمل =

٦٤ ـ باب

ما جاءَ في الإِقْسام على الله

عن جُنْدَب بن عبد الله قال: قال رسولُ الله ﷺ «قال رجُلٌ: والله لا يَغفِرُ اللهُ لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يَتَأَلَّى عليَّ أَن لا أَغفرَ

= جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم، واستثنى منهم من له عهد، وكذلك الذراري والأولاد والنساء والرهبان فلا يقتلون. قوله: «ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا» الغلول الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها، قال تعالى: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾ [آل عمران: ١٦١]. والغدر نقض العهد، والتمثيل هنا التشويه بالقتل كتقطع أنفه وأذنه والعبث به. قوله: «وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خلال ـ أو خصال» الرواية بأوالتي هي للشك، والمعنى واحد. قوله: «فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم» منصوب بأجابوا. قوله: «ثم ادعهم الى الاسلام» كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم «ثم ادعهم» بزيادة «ثم». قوله: «ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين» يعني المدينة إذ ذاك، وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من امن، وهو في بلد الشرك، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة، نص عليه الفقهاء في كتبهم. قوله: «فان هم أبوا أن يتحولوا منها» يعني أن من أسلم ولم يجاهد ولم يهاجر من البداوة لم يعط له من الخمس ولا من الفيء شيء. قوله: «فان هن أبوا فاسألهم الجزية» فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان أو غيره، كتابياً كاذ أو غيره. وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية، فقال مالك: أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق. وقال الشافعي: دينار على الغني والفقير. وقال أبو حنيفة: على الغني ثمانية وأربعون درهما، والوسط أربعة وعشرون درهما. والفقير اثنا عشر درهما. وهو قول حمد ابن حنبل. وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره، ويجب تحويل النائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم. قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن الخ» فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول: إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وهو المعروف مذهب مالك وغيره. قوله: «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه» الذمة: العهد وتخفر: تنقض: يقال أخفرت الرجل: نقضت عهده، وخفرته: أجرته، لأنه لا يؤمن على من أعطى ذمة أن يخفرها، فخفر ذمته أهون من أن يخفر ذمة الله تعالى. =

لفلان؟ إني قد غفَرتُ له وأَحبَطْتُ عملكَ» رواه مسلم[1]. وفي حديث أبي هريرة أَن القائل رجُلٌ عابد. قال أَبو هريرة: تكلَّم بكلِمةٍ أَوْبَقَتْ دنياه وآخرتَه[2]

فيه مسائل: (الاولى) التحذير من التألي على الله (الثانية) كون النار أقرب إلى إحدنا من شراك نعله. (الثالثة) أَن الجنة مثل ذلك. (الرابعة) فيه شاهد لقوله «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» الخ. (الخامسة) أَن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أَكره الامور اليه.

---

(١) قوله: «ما جاء في الإقسام على الله» ذكر المصنف فيه حديث جندب [illegible] قال رسول الله ﷺ «قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: [illegible] أن لا أغفر لفلان، إني قد غفرت له وأحبطت عملك» رواه مسلم. قوله [illegible] والألية بالتشديد الحلف. وصح من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود عن [illegible] رسول الله ﷺ يقول: «كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان [illegible] مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول [illegible] على ذنب. فقال له: أقصر فقال: خلني وربي، أبعثت عليَّ رقيباً؟ فقال: [illegible]. ولا يدخلك الجنة. فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا [illegible] بي عالماً، أو على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي [illegible] اذهبوا به إلى النار»

(٢) قوله: «في حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد» يشير إلى قوله في [illegible] أحدهما مجتهد في العبادة، وفيه معنى قوله ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة [illegible] بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه».

٦٥ ـ باب

لا يُسْتشفَعُ بالله على خَلقِهِ

عن جُبير بن مُطْعم قال: جاءَ أَعْرابيٌّ الى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، نُهِكَتِ الانفُسُ، وجاع العِيالُ، وهَلَكَتِ الأَموالُ فاسْتَسْقِ لنا ربك، فإنا نَستشفعُ بالله عليكَ، وبكَ على الله. فقال النبيُّ ﷺ «سُبحانَ اللهِ» فما زال يُسبِّحُ حتى عُرِفَ ذٰلك في وُجوه أَصحابه» ثم قال النبي ﷺ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرى ما اللهُ؟ إنَّ شأْنَ اللهِ أَعظَمُ منْ ذٰلك، إنه لايُسْتَشْفَعُ بالله على أَحد من خَلْقِهِ» وذكر الحديث. رواه أَبو داود[١]

فيه مسائل: (الاولى) الانكار على من قال نستشفع بالله عليك. (الثانية) تغيره تغيراً عرف في وجوه أَصحابه من هذه الكلمة. (الثالثة) أَنه لم ينكر عليه قوله نستشفع بك على الله. (الرابعة) التنبيه على تفسير سبحان الله. (الخامسة) أَن المسلمين يسأَلونه الاستسقاء.

---

(١) قوله: «باب لا يستشفع بالله على خلقه»، وذكر الحديث، وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف، ولفظه: عن جبير بن محمد بن جبر بن مطعم عن أبيه عن جده قال: أتى النبي ﷺ اعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس وضاع العيال ونهكت الأموال. فاستسق لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فقال النبي ﷺ «ويحك أتدري ما تقول»، وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: «ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك. ويحك أتدري ما الله. ان عرشه على سماواته كهكذا ـ وقال باصبعه مثل القبة ـ وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب». قال ابن يسار في حديثه «الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته». قوله: «ويحك» كلمة تقال للزجر. قوله: «أتدري ما الله»؟ فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمه الله وجلاله، قوله: «إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه» =

٦٦ ـ باب

ما جاءَ في حماية النبي ﷺ حِمَى التوحيد وسدِّه طُرقَ الشرك(١)

عن عبد الله بن الشِّخِّير قال: انطلقتُ في وفد بني عامرٍ الى النّبي ﷺ فقلنا: أَنتَ سيّدُنا، فقال «السيدُ الله تبارك وتعالى». قلنا: وأَفضلُنا فضلاً، وأَعظَمُنا طَوْلا، فقال«قُولوا بقولِكم، أَو بعضِ قَولِكم ولا يَسْتجرِيَنَّكُمُ الشيطانُ؛». رواه أَبو داود بسند جيد.

وعن أَنس رضي الله عنه أَن ناسا قالوا: يا رسول الله، يا خَيرَنا وابنَ خَيرِنا، وسيّدنا وابنَ سيّدنا. فقال«يا أَيها الناس، قولوا بقولِكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشيطان. أَنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، ما أَحِبُّ أَن ترفعوني

= لأن الأمر كله بيده تعالى، ليس في يد المخلوق منه شيء، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدس. وفي هذا الحديث الرد على الجهمية وإثبات العلو. وهذا الحديث رواه أبو داود ورضيه على عادته فيما كان عنده صحيحا أو حسنا وسكت عليه. وأما الاستشفاع بالرسول في حياته فانما هو بدعائه ﷺ ودعاؤه مستجاب. وأما بعد وفاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدم تقريره في باب الشفاعة وما قبله. والله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القران ونفاها في حق من سألهم من غير الله.

(١) قوله: «باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك» حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والاعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص. وقد اشتمل هذا الكتاب ـ على اختصاره ـ على اكثر ذلك. والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه. يعرف ذلك من تدبره وعرف ما تضمنه بابا بابا.

فوقَ مَنزِلَتي التي أَنزلَني اللهُ عزَّ وجل» رواه النسائي بسند جيد(١).

فيه مسائل: (الأُولى) تحذير الناس من الغلو. (الثانية) ما ينبغي أَن يقول من قيل له أَنت سيدنا. (الثالثة) قوله: «لا يستجرينكم الشيطان» مع أَنهم لم يقولوا الا الحق. (الرابعة) قوله: ما أُحب أَن ترفعوني فوق منزلتي»

---

(١) قوله في حديث أنس: ان ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. فقال: «أيها الناس، قولوا بقولكم ـ أو بعض قولكم ـ ولا يستهوينكم الشيطان»، كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم، حذرهم بما يكون ذريعة إلى الغلو فيه. وقوله: «أنا محمد عبد الله ورسوله» فأعلى مراتب العبد هاتان الصفتان: العبودية الخاصة. والرسالة. وللنبي ﷺ أكملهما. وقد اخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه، وأمر أمته أن يصلوا عليه، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب إلا ذكره معه صلوات الله وسلامه عليه وأما اطلاق «السيد» فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في «بدائع الفوائد» ما نصه: اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر، فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له أنت سيدنا قال: «السيد الله»، وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار «قوموا إلى سيدكم» وهذا أصح من الحديث الأول. قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف اليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة ولا يقال للملك سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم. وفي هذا نظر فان السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى. قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: «الله الصمد»: انه السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤدد. وقال ابو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

٦٧ - باب

ما جاءَ في قولِ الله تعالى:
﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قدرِه، والأَرضُ جميعاً قَبْضَتَهُ يومَ القيامة﴾ [الزمر: ٦٧] الآية[١]

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحبارِ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا محمدُ، إنَّا نَجدُ أَنَّ الله يَجْعَلُ السَّمٰوات على إصبع، والأَرضينَ على إصبع، والشجرَ على إصبع، والماءَ على إصبع، والثرَّىٰ على إصبع، وسائرَ الخلقِ على إصبع، فيقول: أَنا الملكُ. فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجِذُه تصديقاً لقول الحَبرِ، ثم قرأَ رسول الله ﷺ (وما قَدَرُوا الله حقَّ قَدْرِه والارضُ جميعا قَبْضَتَهُ يومَ القيامة) الآية. وفي رواية لمسلم «والجبالَ والشجرَ على إصبع، ثم يَهُزُّهنَّ فيقول: أَنا الملكُ، أَنا الله». وفي رواية للبخاري: «يجعل السَّمٰواتِ على إصبع،

---

(١) قوله باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ الآية. أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الاية. قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى: ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته. قال السدي: ما عظموه حق عظمته. وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوه وقد وردت احاديث كثيرة تتعلق بهذه الاية، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف.

والماءَ والثَّرىٰ على إصبع، وسائر الخلقِ على إصبع. أخرجاه[1].

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً (يَطْوي الله السَّمٰوات يومَ القِيامة، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليمنىٰ، ثمَّ يقول: أنا الملكُ، أينَ الجبّارون؟ أينَ المتكبِّرون؟ ثم يَطْوِي الأَرضِينَ السَّبْعَ، ثم يأخُذُهنَّ بِشماله ثم يقول: أنا الملكُ، أين الجبّارون؟ أين المتكبّرون؟»[2].

---

(١) قوله: عن ابن مسعود قال: جاء حبر من الأحبار إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول: أناالملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ ﴿وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه﴾ الآية. وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به، وقال البخاري« حدثنا سعيد بن غفير قال: حدثنا الليث حدثني عبد الرحمن بن مسافر عن أبي شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه فيقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»؟ تفرد به من هذا الوجه.

(٢) قوله: ولمسلم عن ابن عمر مرفوعا «يطوي الله عز وجل السموات ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ اين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين السبع ثم يأخذهن بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون»؟ كذا في رواية مسلم، قال الحميدي وهي أتم. قلت: وهذه الاحاديث وما في معناها ـ **وهي** كثيرة جدا ـ تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته، وفيها الرد على الجهمية والأشاعرة **ونحوهم** أيضا، وكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على كماله وعظمته وجلاله، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده، لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا لمن دونهما. قال شيخ الاسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه فوق العرش فوق السموات مستو على عرشه، وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة. وقال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره =

ورُوِيَ عن ابنِ عباس قال: ما السَّمٰواتُ السبعُ والأَرَضونَ السبعُ في كفِّ الرحمٰنِ إلا كخَرْدَلةٍ في يدِ أَحَدِكم. وقال ابنُ جَرِير: حدَّثني يونس أنبأنا ابنُ وهب قال: قال ابن زيد: حدَّثني أَبي قال: قال رسول الله ﷺ «ما السَّمٰواتُ السبعُ في الكرسّي إلا كدراهمَ سبعةٍ أُلقِيَتْ في تُرْس» قال: وقال أَبو ذر: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «ما الكرسيُّ في العَرْش إلا كحَلْقةٍ من حديدٍ أُلقِيَتْ بين ظهرَى فَلاةٍ منَ الأَرض».

وعن ابن مسعود قال: بين سماء الدنيا والتي تليها خمسُمائةِ عام، وبين كلِّ سماءٍ وسماءٍ خمسُمائة عام، وبين السماءِ السابعةِ والكرسيّ خمسُمائة عام، وبين الكرسيّ والماءِ خمسُمائة عام، والعرشُ فوقَ

= فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة. وقال أبو عمر الطلمنكي في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله مستو على عرشه بذاته، ذكره الذهبي في كتاب العلو.
وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضاً: أجمع أهل السنة على أن الله تعالى استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز، ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ [الحديد: ٤]. ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء. هذا لفظه في كتابه. وقال الحافظ الذهبي: وأول مقالة سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم، وكذلك أنكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبد الله القسري وقصته مشهورة. وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات، وكان ذلك في آخر عصر التابعين، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك، ومن بعدهم من أئمة الهدى كالإمام أحمد وخلق من أهل السنة.
قال الإمام الشافعي: لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فانه يعذر بالجهل. ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١]. اهـ من فتح الباري.

الماءِ، والله فوقَ العرش، لا يخفىٰ عليه شيءٌ من أَعْمالِكم. أَخرجه ابنُ مهديّ عن حمّاد بن سَلَمة عن عاصم عن زِرّ عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعوديُّ عن عاصم عن أَبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظُ الذهبيّ رحمه الله تعالى، قال: وله طرق

وعن العّباسِ بنِ عبد المطَّلب قال: قال رسولُ الله ﷺ «هلا تَدْرون كم بين السماء والأرض»؟ قلنا: الله ورسولُه أَعلم. قال «بينَهما مَسيرةُ خمسمائة سنة ومن كلِّ سماءٍ الى سماءٍ مسيرةُ خمسِمائة سنة وكشف كلَّ سماءٍ مسيرةُ خمسمائة سنة وبين السماء السابعةِ والعرشِ بحرٌ بينَ أَسفلِه وأَعلاهُ كما بينَ السماءِ والارض، والله سبحانه وتعالى فوقَ ذٰلك، وليس يَخفىٰ عليه شيءٌ من أَعمالِ بني آدم[1]» أَخرجه أَبو داود وغيره

(١) قوله: «وعن العباس بن عبد المطلب» ساقه المصنف مختصراً، والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر اليها فقال: «ما تسمون هذه»؟ قالوا السحاب قال: «والمزن» قالوا والمزن قال: «والعنان» قالوا: والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جداً قال: «هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض» ؟ قالوا لا ندري. قال: «ان بعد ما بينهما إما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك ـ حتى عدد سبع سموات ـ ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك. قال الحافظ الذهبي رواه أبو داود بإسناد حسن. وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه «بعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام» قال ولا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلا، ونيف وسبعون سنة على سير البريد. قلت: وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعفه. =

فيه مسائل: (الاولى) تفسير قوله: (والأرض جميعاً قبضته) (الثانية) أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ولم ينكروها ولم يتأولوها. (الثالثة) أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك. (الرابعة) وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم. (الخامسة) التصريح بذكر اليدين وأن السموات في اليد اليمنى والأرضين في اليد الأخرى. (السادسة)

= وقد ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية، لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد، فقام ببيان التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد. فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة على الدعوة اليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته، فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب ثم ختم كتابه بتوحيد الاسماء والصفات، لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم، وأما من ينتسب إلى العلم فهم أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن باهل الكلام وظنوا أنهم على شيء فقبلوا ما وجدوه عنهم فقرروا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين، وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد فقررها بادلتها، فلله الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام فضلّ عنه من ضل من أهل القرى والأمصار وغيرهم، وبالله التوفيق، فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار اليها العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله:

والعلم أقسام ثلاث مالها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني

وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التصريح بتسميتها الشمال. (السابعة) ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك. (الثامنة) قوله كخردلة في كف أحدكم. (التاسعة) عظم الكرسي بالنسبة الى السموات. (العاشرة) عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي. (الحادية عشرة) أن العرش غير الكرسي والماءِ. (الثانية عشرة) كم بين كل سماء إلى سماء. (الثالثة عشرة) كم بين السماء السابعة والكرسي. (الرابعة عشرة) كم بين الكرسي والماء. (الخامسة عشرة) أن العرش فوق الماء. (السادسة عشرة) أن الله فوق العرش. (السابعة عشرة) كم بين السماء والأرض. (الثامنة عشرة) كثف كل سماء خمسمائة سنة (التاسعة عشرة) أن البحر الذي فوق السموات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة. والله سبحانه وتعالى أعلم.



الفهرس

الموضوع	الصفحة